أبطال الإسلام

تأليف : براءة الشامي
تصميم: عمر السامرائي



أبطال الإسلام

براءة الشامي

أبطال الإسلام

تأليف: براءة الشامي

رسوم: عمر السامرائي

القياس: 17×24 سم

عدد الصفحات 85 ص

ISBN

الطبعة الأولى

1444هـ - 2024م



من إصدارات مؤسسة السبيل

www.al-sabeel.net

أبو بكر الصديق

(رضي الله عنه)

هو عبد الله بن عثمان بن عامر، يكنى والده "أبو قحافة"، كان صاحب رسول الله ﷺ المقرب قبل بعثته، وعاش في الجاهلية حياة الفطرة والنقاء، لم يسجد جبينه لصنم، ولم يدخل جوفه قطرة خمر، كان عالمًا بالأنساب والتاريخ في مكة وتاجرًا من تجارها.
سرعان ما أعلن إسلامه عندما بلغه خبر الوحي، فكان أول من دخل الإسلام من الرجال، وبدأ يدعو للإسلام كل من يرى فيهم بذور الخير والصلاح والهداية، فأسلم على يده كبار الصحابة الذين كانوا النواة الرئيسية في نشر هذا الدين.

الصديق..لقبٌ سامٍ ومنزلة رفيعة حازها أبو بكر رضي الله عنه بجدارة، واختلفت آراء العلماء في سبب هذا اللقب، في حين رجّح كثير منهم أن سبب تسميته بـ"الصديق" موقفه في حادثة الإسراء والمعراج، حين سارع بتصديق رسول الله ﷺ عندما كذبه الناس، وجزم بصدق رسول الله ﷺ بجملة شهيرة تدل على إيمان عميق ويقين راسخ لا يهتز:

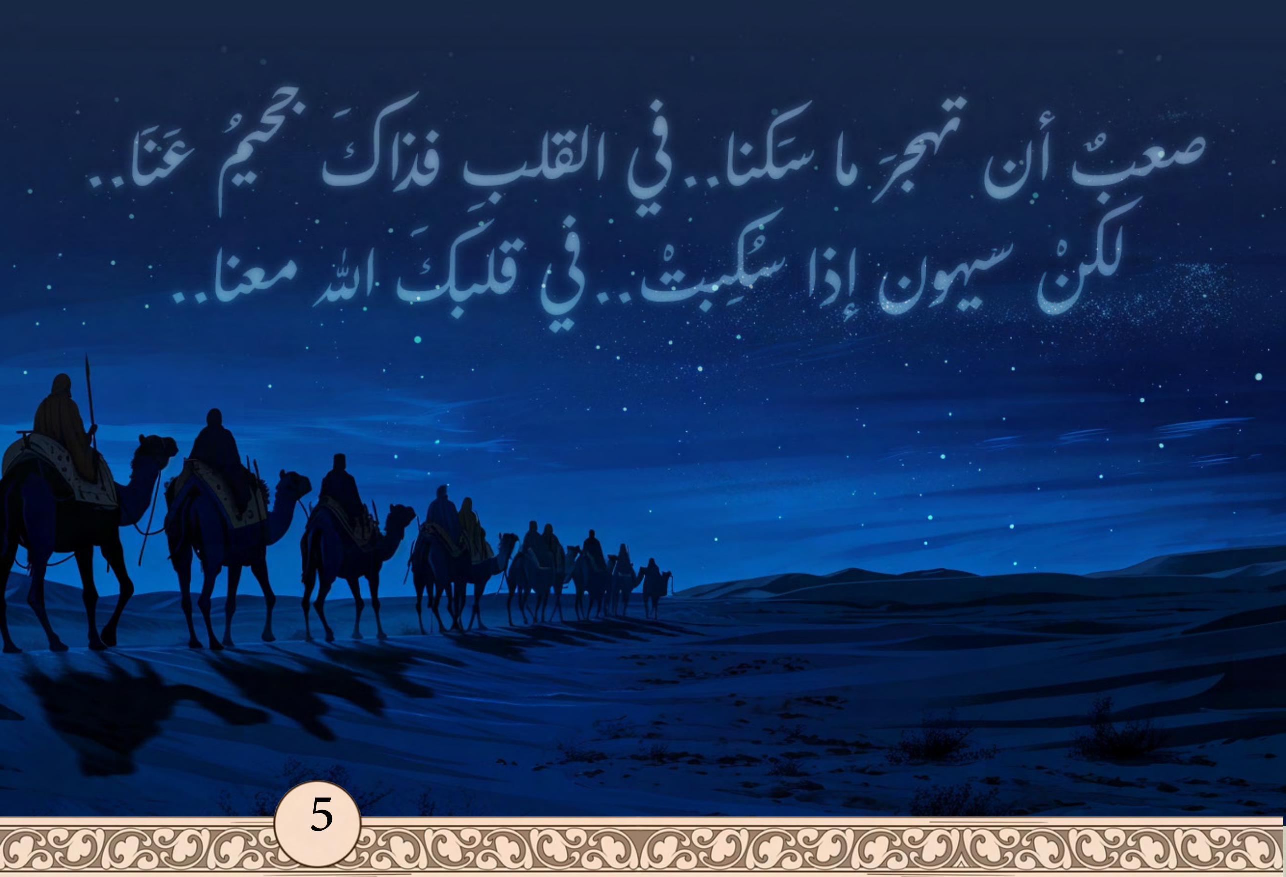
(لئن قال ذلك لقد صدق)



أبو بكر الصديق .. رفيق الهجرة والجهاد

اشتد أذى المشركين لمن أسلم مع رسول الله ﷺ، وجاء أمر الله تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة، ووقع اختيار رسول الله ﷺ على أبي بكر الصديق ليكون صاحبه في هجرته، وبدأ مشوار الهجرة متوكلَين على الله، آخذين بكل أسباب النجاة والنجاح، وتبعهم كفار مكة باحثين عنهما في كل حدب وصوب، ولجأ رسول الله ﷺ وصاحبه إلى غار ثور، وقدّر الله أن يقف الكفار على باب الغار باحثين يمينًا وشمالًا، وشاء الله أن تعمى بصائرهم ولا يلتفتوا إلى جهة وجود رسول الله وصاحبه، ولا زلنا نقرأ هذه القصة في كتاب الله، ونقرأ تأييد الله لهما بسكينته وجنده، ونلمس في كل تفاصيل قصة الهجرة خوف أبي بكر على رسول الله ﷺ وحرصه على سلامته، ليقول له ﷺ مُطمئِنًا رغم الخطر المحدق بهما: (لا تحزن إن الله معنا)

وصل رسول الله ﷺ وصاحبه إلى المدينة المنورة في مشهد احتفالي مهيب، وأسسوا هناك مع بقية الصحابة الكرام دولة الإسلام، وكان أبو بكر رفيق رسول الله ﷺ في أزماته، وغزواته، وآلامه وانتصاراته، كان جزءًا من كل مشهد من مشاهد الإسلام، وقدوة في كل ميدان من ميادين العطاء.





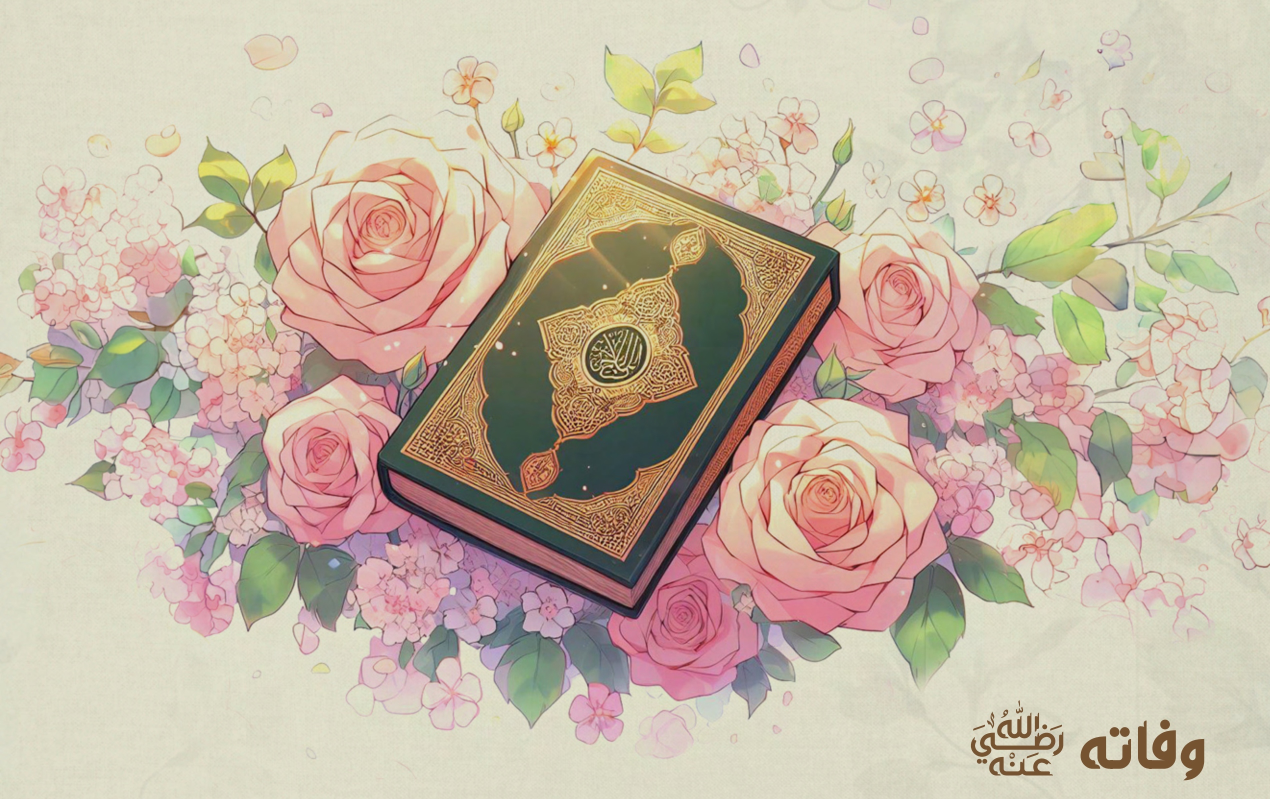
بعد وفاة رسول الله ﷺ، تولى الصديق أمر الأمة وصار خليفة لِلمسلمين، وارتدت قبائل كثيرة من العرب عن الإسلام، وادعى آخرون تمسكهم بالإسلام لكنهم منعوا الزكاة ورفضوا الالتزام بها حرصًا على ثرواتهم، وأرادوا إعادة تشكيل الإسلام ليوافق هواهم، فعزم أبو بكر على قتالهم، وخلّد التاريخ قوله الحازم الذي يحمل كل معاني الغيرة على دين الله تعالى: (أينقص الدين وأنا حيّ؟!) وقال أيضاً: "والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا لقاتلتهم على منعهم".

وبدأ المرتدون بشن هجمات صغيرة على أطراف المدينة المنورة، فخرج الصديق على رأس جيش لصدهم، ولحق بهم خارج المدينة، فتفاجأ جيش المسلمين بكمين من كتائب كبيرة تنتظرهم، وجهزت تلك الكتائب أكياسًا جلدية نفخوها ورموها بين أرجل الإبل في جيش المسلمين، ففزعت الإبل وتشتت الصفوف وانسحب المسلمون إلى المدينة المنورة.
ظن المرتدون أنهم أحرزوا نصرًا سهلًا على جيش أبي بكر، لكن فرحتهم لم تكتمل عندما وجدوا جيش المسلمين يغير عليهم ماشيًا صباح اليوم التالي بعد أن أعاد أبو بكر تنظيم الجيش من جديد تاركًا الإبل خلفه في المدينة المنورة ، وأعد خطة فاجأت العدو وجعلته يفر هاربًا من ضربات السيوف المسلمة، ليعلموا أن دولة الإسلام ما زالت قائمة، وما زالت قادرة على الضرب بيد من حديد على كل مفسد مرتد عن دين الله.

وعاد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى المدينة المنورة منتصراً، وأعاد تقسيم الجند ليتمكن من السيطرة على كامل أطراف الدولة الإسلامية، فعقد أحد عشر لواءً وفرّق الكتائب على كل الجبهات في عمل جريء تخافه أعظم الدول وأشدها عدة وعتادًا، وأمسك القادة العظماء براياتهم وانطلقوا لقتال مدعي النبوة، ومن ارتد عن الدين هنا وهناك، وأمرهم أبو بكر أن لا يقاتلوا أحدًا قبل نصحه ومنحه فرصة ليتوب ويعود للإيمان، فلا يقاتلوا إلا من أبى وأصر على كفره فقط، وانتصروا بفضل من الله وسطروا أروع قصص البطولة والفداء، وعادت أركان الدولة الإسلامية قوية ثابتة كما كانت، وتمكن أبو بكر الصديق من حماية الدولة من فتنة عظيمة زلزلت أركانها وجعلتها على حافة الانهيار، وعادت جيوش المسلمين بعدها لجهادها في الفتوحات الإسلامية لتُخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق

وكان من أثر معارك الردة أن مات عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم، فأشار عمر على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن بعد أن كان متفرقًا في صدور الناس وصحائف شتى، فانطلق الصحابة يجمعونه من الألواح وصدور الحفاظ، جُمِع القرآن الكريم في مصحف واحد لأول مرة في عهد رجل عظيم تولى أمانة الدين فأحسن أداءها على أكمل وجه.



وفاته رضي الله عنه

وعندما حضرته الوفاة، جمع ما كان عنده من مال قليل، ورده إلى بيت مال المسلمين خشية أن يكون للمسلمين عليه حق في ماله، وكان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}

واهتزت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق، وضجت أركانها بالبكاء لفقد رجل عظيم لن يتكرر، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا باكيًا مسترجعًا، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر، وقال كلامًا طويلًا حبًا وحزنًا لفراق هذا الرجل الصالح، وكان مما جاء فيه: "رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم له، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل".

عمر بن الخطاب

(رضي الله عنه)

الفاروق .. عمر بن الخطاب هو أبو حفص القرشي، فاروق الأمة، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، شبّ في مكة يرعى إبل أبيه، وتعلم القراءة والكتابة في بلد أكثر أهله أميون، وآتاه الله بسطة في جسمه فكان فارسًا مقدامًا ومصارعًا لا يُغلب.

حارب الإسلام أول ظهوره، وآذى بعض من دخل فيه من المستضعفين، إلى أن استجاب الله دعاء رسول الله ﷺ: (اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) فدخل الإيمانُ قلبَه بعد أن سمع آيات الله تعالى، وذلك في السنة السادسة من البعثة وعمره ٢٧ عامًا، وتوجه إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه، وكان الإسلام حينذاك في خفاء وضعف يخشى أهلُه المجاهرةَ به، لكن عمر أبى إلا أن يخرج مع المسلمين ليجهروا بدينهم بين ظهور الكافرين، فخرجوا في صفَّين على رأس أحدهما عمر وعلى الآخر حمزة بن عبد المطلب، حتى دخلوا المسجد أمام سادات قريش، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها لمكانة عمر وحمزة في قريش، فسماه رسول الله ﷺ يومئذ "الفاروق".
يقول عبد الله بن مسعود: (مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ).

ومنذ ذلك الحين والفاروق رفيق درب رسول الله ﷺ، ومن أحب الناس إليه، جاهد معه غزواته كلها، وقاد بعض السرايا بأمر رسول الله ﷺ، وبلغ من صدق الإيمان وحسن العمل أن كان أحد العشرة المبشرين بالجنة



مكانة عمر بن الخطاب

برزت من خلال أحاديث رسول الله ﷺ مكانة عمر بن الخطاب في الإسلام، فأمر بالاقتداء به فقال: (اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ)، وما ذاك إلا لفقهه وعلمه وقوة إيمانه، قال ﷺ: (إنَّ اللَّهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ)، وقال: (لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ).

بل أخبرنا رسول الله ﷺ أن الشيطان لا يسلك طريقًا يسلكه عمر!

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين

بعد وفاة رسول الله ﷺ تولى الخلافة أبو بكر الصديق، وكان له الفاروق مستشارًا أمينًا ووزير خير وصلاح، وبعد وفاة أبي بكر تولى الخلافة عمر بن الخطاب عام ١٣هـ، فأنشأ دولة نموذجية في استقرارها وقوتها والعدالة بين أفرادها، أسس التقويم الهجري، وكان أول من أنشأ الدواوين -الوزارات- وأنشأ بيت المال، واهتم بنشر العلم وعمار المدن وتنظيم الجيش، فكان نموذجًا مثاليًا للحاكم المسلم الذي يجمع بين الفقه والإدارة والرحمة والقوة، يقول فيه رسول الله ﷺ «فلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا في النَّاسِ يَفْرِي فَرْيَه» أي لم ير رسول الله ﷺ سيدًا عظيمًا حاذقًا قويًا يعمل عمل عمر، لشدة إتقانه واستمرار سعيه وكثرة عطائه.



المعارك العمرية ضد الإمبراطورية الفارسية

كان عمر رضي الله عنه العقل المدبر للفتوحات الإسلامية التي أسقطت عرش كسرى، فسيّر الحملات العسكرية في العراق وبلاد فارس -إيران اليوم- ، وأمر القادة بأن يكتبوا له كل خطوة يخطونها وكأنه يشاركهم تفاصيل المعركة، فينظم ويوجه ويحكم ويرسل الأوامر، فتصله تباعًا أخبار الانتصارات العظيمة في البويب والقادسية وتستر ونهاوند وغيرها من بقاع الدولة الفارسية، وتصله كنوز كسرى من المدائن عام ١٦هـ وجاءه الهرمزان -ملك الأحواز- بعد موقعة تستر أسيرًا ذليلًا، ودخل المدينة باحثًا عن عمر بن الخطاب، فوجده نائمًا في المسجد بلباسه البسيط ودرّته في يده، فنظر إليه عمر وتأمله وتأمل ما عليه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللآلئ ثم قال: (أعوذ بالله من النار وأستعين بالله.. الحمد لله الذي أذل هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدي نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غدارة!)

فتوحات عمر بن الخطاب في الشام و مصر

لم تكن جيوش الفاروق تحارب الفرس فقط، بل كانت تحارب الروم أيضًا في بلاد الشام ومصر، وكان عمر رضي الله عنه يدير تلك المعارك ويوجه قادتها ويتابع تقدمها باستمرار، فدمرت أجناده عرش هرقل في بلاد الشام، وكان الفاروق أول من ضمّ بيت المقدس إلى دولة الإسلام، حين سار بنفسه على رأس جيش ليدخل بيت المقدس عام ١٦هـ

بعد أن امتنعت القدس على قادة الفتح وطال حصارها، فأخبرهم النصارى أن القدس لا يفتحها إلا رجل ذو صفات معينة تطابق صفات الفاروق عمر، فجاءهم على بعير له بثوبه البسيط ونعله الخفيف، ولقيه أبو عبيدة بن الجراح فرآه قد نزل عن جمله وحمل نعله بيده ليجتاز بركة ماء، فاستنكر عليه أبو عبيدة ذلك لأنه مقبل على قادة الروم بما هم عليه من استعلاء وخيلاء، فما كان من عمر إلا أن نكزه في صدره وقال:

(أوَلَو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله)، وعرفه النصارى بصفته عندما رأوه وفتحوا له أبواب بيت المقدس بعد أن ضاق بهم طول الحصار، فدخلها فاتحًا وكتب معاهدة بينه وبين أهلها تضمن حقوقهم، وبنى المسجد العمري، ونظف الصخرة بنفسه وشاركه المسلمون تنظيف المسجد الأقصى المبارك بعد أن ملأه النصارى قمامة وقذارة.

توسع نطاق الدولة الإسلامية في عهد الفاروق، حتى شمل كامل العراق ومصر وليبيا والشام وإيران وشرق الأناضول وجنوب أرمينية وأجزاء من تركمانستان وأفغانستان، وبهذا توسعت الدولة الإسلامية حتى شملت أراضي الإمبراطورية الفارسية وحوالي ثلثيّ أراضي الإمبراطورية البيزنطية.

وفاة عمر بن الخطاب

مضى طاهر الأثوابِ لم تبقَ روضة
غداة ثوى إلا اشتهت أنّها قبرُ
عليك سَلامُ اللهِ وَقْفاً فإنّني
رَأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ

بينما كان الفاروق يصلي الفجر، اخترق الصفوف رجل من شرّ أهل الأرض "أبو لؤلؤة المجوسي" وطعنه بخنجر مسموم، فخر مغشيًا عليه، وعندما أفاق أرسل لأم المؤمنين عائشة يستأذنها أن يدفن في حجرتها قرب رسول الله ﷺ وأبي بكر، فأذنت له، ودخل عليه الناس مودعين يُذكّرونه بعظيم منزلته وحسن عمله، لكن قلبه كان وجلًا من لقاء الله تعالى رغم كل تلك البشريات، وفاضت روحه إلى ربها عام ٣٢هـ ، وضج الناس وكأنهم لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، وبكاه المسلمون وكأنهم فقدوا فلذات أكبادهم، ودخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مودّعًا، فترحّم عليه وقال:

(ما خَلَّفْتَ أحَدًا أحَبَّ إلَيَّ أنْ ألْقَى اللَّهَ بمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وايْمُ اللَّهِ إنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مع صَاحِبَيْكَ، وحَسِبْتُ إنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أسْمَعُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ذَهَبْتُ أنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، ودَخَلْتُ أنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وخَرَجْتُ أنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ.)

رحمه الله وغفر له.



الزبير بن العوام

(رضي الله عنه)



هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، من أوائل من دخل الإسلام وكان عمره ستة عشر عامًا، وقيل أصغر من ذلك، أحد العشرة المبشرين بالجنة؛ تعرض للتعذيب الشديد عندما أسلم حيث كان عمه يلفه بحصير، ويعلّقه ويشعل النار من تحته ليصيبه من دخانها الحرارة والضيق والاختناق، فيقول بثبات رغم كل ذلك الألم: «لا أكفر أبداً»

كان الزبير -على صغر سنه- أول من سلّ سيفه في سبيل الله بعد أن سمع بخبر كاذب عن مقتل نبيه الذي يحبّ، فاستل سيفه وخرج باحثًا عن قاتله لينتقم منه، ولم تطمئن نفسه إلا بعد أن رأى رسول الله ﷺ بنفسه سالمًا.

هاجر إلى الحبشة، وعاد منها ليشترك مع رسول الله ﷺ في دعوته وغزواته، ينصره ويمتثل لأمره ويدافع عنه، فحظي بمنزلة رفيعة عند رسول الله ﷺ الذي قال:

«لكُلِّ نبيٍّ حواريّ، وحواريَّ الزبير»

أي خاصتي من أصحابي، وناصري.

الزبير بن العوام في غزوة بدر

في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة قامت أول معركة في الإسلام بين المسلمين ومشركي قريش، وسميت "يوم الفرقان"، كان جيش المسلمين يتكون من ٣١٣ رجلًا، معهم سبعين بعيرًا يتناوبون الركوب عليها، وفارسين فقط أحدهما بطلنا الزبير بن العوام، وكانوا قد خرجوا مع رسول الله ﷺ لملاقاة قافلة تجارية لقريش دون الإعداد لصدام مسلح مع جيش عسكري ضخم، في حين خرج المشركون بكبرهم وغرورهم بعد أن تجهزوا بالعدة والعتاد اللازمين، وكان عددهم ١٣٠٠ مقاتل ومعهم مئة فارس.

ورغم تفوق المشركين بعددهم وعدتهم، إلا أن الصحابة الكرام التفوا حول رسول الله ﷺ قبل المعركة ليعاهدوه على الثبات حتى النصر، وأنزل الله تعالى عليهم النعاس ليرتاحوا ويستعدوا للحرب، وأنزل المطر ليكون لهم سكينة ورحمة وطهورًا، وجلس رسول الله ﷺ يلح بالدعاء لله جلّ وعلا ويستغيثه لينصرهم على عدوهم، وبشر الصحابة بهلاك كبار كفار قريش، فيشير بيده إلى موضع مصرع فلان وفلان من صناديد الكفر ورؤوس الشر، وهو يردد بيقين قول الله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾

اصطف الجند وقبض رسول الله ﷺ قبضة من تراب وحصى ورماها في وجوه المشركين وقال:(شاهت الوجوه) فلم تبق عين في جيش الكفر إلا أصابها من تلك القبضة شيءٌ بإذن الله.



والتقى الجيشان بمعركة حامية الوطيس، وكان الزبير على فرسه يقاتل بشجاعة مرتديًا عمامة صفراء، وأمد الله المسلمين بآلاف من الملائكة يقاتلون معهم ويضربون أعناق أهل الكفر، فنزل جبريل بعمامة صفراء على سيما الزبير، وكان هذا له شرف عظيم

والتقى الزبير بمقاتل اسمه "عبيدة بن سعيد بن العاص" الذي كان مدججًا بالحديد من رأسه إلى قدميه، لا يظهر منه إلا عيناه، فبادره الزبير برمحه فأصابه في عينه فقتله، وهذا يدل على احترافه ودقته ومهارته القتالية العالية، فوضع رجله على صدر عبيدة وقام بانتزاع الحربة بقوة من داخل الخوذة الحديدية حتى انثنى طرفاها، فأخذها منه رسول الله ﷺ واحتفظ بها ليتذكر بها بطولة الزبير، وانتقلت بعد وفاته لأبي بكر وكأنها جزء من ميراث النبوة والخلافة، ثم انتقلت لعمر في خلافته، ثم عثمان، ثم علي، حتى انتهت عند ابنه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.
وانتهت المعركة بمصرع سبعين من كفار قريش، منهم النفر الذين بيّن رسول الله ﷺ مصارعهم قبل المعركة ما أخطأ أحد منهم الموضع الذي حده له، منهم أبو جهل وأمية بن خلف، وتم سحبهم ورميهم في بئر من آبار بدر.



الزبير بن العوام رجل بألف

عندما أبطأ فتح مصر أرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص مددًا بقيادة أربع فرسان أشداء كل منهم بألف رجل، وأرسل له رسالة يقول فيها: (إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألفٍ رجل منهم مقام الألف) وكان أحد هؤلاء القادة الزبير بن العوام رضي الله عنه، الذي تقدم إلى حصن بابليون بعد أن عصب رأسه بعصابة صفراء، ووضع سلمًا وصعد الحصن وأمر المسلمين بالتكبير جميعًا، فما شعر الروم إلا والزبير فوق الحصن يكبر، وقفز داخل الحصن وفتح الباب للجيش المسلم بيمينه، وفتح باب النصر بإيمانه وشجاعته وجرأته.



وفي معركة اليرموك أقدم الزبير رضي الله عنه على اقتحام صفوف الروم ببطولة نادرة، حين شدّ حملته واخترق صفوفهم يضرب بسيفه يمينًا وشمالًا حتى انتهى إلى آخر الجيش وما معه أحد، ثم التف ورجع يضرب من جديد حتى خرج من الجيش من صفه الأول، محتملًا ضربات سيوفهم وطعنات رماحهم بعد أن قتل منهم الكثير.

رضي الله عن الزبير بن العوام، رحل عن الدنيا شهيدًا بعد أن بشره رسول الله ﷺ بالجنة، وترك لنا نموذجًا للفتى الصالح الذي عرف مبكرًا معنى الحياة، والرجل الصالح الذي حمل قضية الإسلام حياته كلها، والمجاهد البطل الذي كان بألف رجل.. جزاه الله عن أمة الإسلام خيرا.

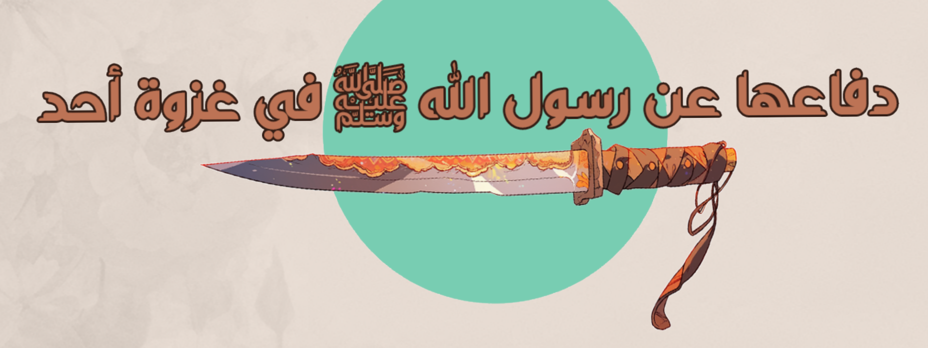
أم عمارة

(رضي الله عنها)



هي نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية الخزرجية، بايعت النبي ﷺ ليلة العقبة، وشهدت أحدًا هي وزوجها وابناها حبيب بن زيد وعبد الله بن زيد، وشهدت الحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة.

دفاعها عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد



بعد هزيمة مشركي مكة في غزوة بدر الكبرى ومقتل كثير من ساداتهم وصناديدهم فيها، ازداد غيظهم وحنقهم على المسلمين، فأجمعوا عدتهم وعتادهم وخرجوا بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لحرب النبي ﷺ وصحابته يقودهم "أبو سفيان بن حرب"، فجهز لهم رسول الله ﷺ جيشًا من سبعمئة مقاتل من المهاجرين والأنصار، وانتظرهم في ساحة عند جبل أحد، وصفّ صفوف الصحابة رضي الله عنهم بعد أن أعد خطة محكمة تمكنهم من هزيمة عدوهم، وجعل على جبل مطل على ساحة المعركة فرقة من الرماة قوامها خمسون راميًا، وأمرهم بالثبات في أماكنهم وعدم التحرك منها دون إذنه مهما كانت الأسباب.

وبدأت المعركة، واشتد القتال، واستبسل الصحابة الكرام في رفع راية الدين، فانهارت صفوف جيش الكفر وانسحبت كتائبهم وولوا مدبرين لم تنفعهم عدتهم ولا عتادهم.

رأى الرماة من فوق الجبل لحظة النصر، ورأوا الغنائم في أرض المعركة يجمعها جند المسلمين، فنسوا أمر رسول الله ﷺ وتركوا ثغورهم ونزلوا الى ساحة المعركة دون أن يهتموا لنداءات قائدهم "عبد الله بن الجبير"، في تلك اللحظة رأى القائد الفذّ "خالد بن الوليد" المشهد، وكان حينها في جيش قريش قبل إسلامه، فجمع فلول جيشه من جديد والتف من خلف جبل الرماة الذي فرغ من مقاتليه إلا قلة منهم، وانقض على المسلمين من خلف ظهورهم وأحاط بهم من كل جانب، فتفرقت صفوف المسلمين وسقط منهم الكثير من الجرحى والشهداء وفرّ بعضهم هاربين بعد أن سمعوا إشاعة كاذبة عن مقتل رسول الله ﷺ.



وأصيب النبي ﷺ ذلك اليوم وشجّ وجهه الشريف وكسر أنفه وسنه، وانحاز مع جماعة من المؤمنين وصعدوا جبل أحد، والتف حوله الصحابة الكرام يدافعون عنه ويفتدونه بأرواحهم، ومنهم أم عمارة رضي الله عنها مع زوجها وابنيها، وحملت أم عمارة ترسًا تحمي به رسول الله ﷺ وتقاتل عنه يمينًا وشمالًا، فضربها رجل يقال له "ابن قميئة" على عاتقها فجرحها جرحًا بليغًا عكفت تداويه سنة كاملة، وجرح ولدها رضي الله عنه، فكانت تعصب الجراح وتنهض مع زوجها وولديها من جديد ليقفوا مدافعين عن نبي الأمة عليه الصلاة والسلام، والرسول ﷺ يقول لها: "من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة!" وينادي ولدها فيقول: "أمك أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل البيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت، ومقام ربيبك -يعني زوج أمه- خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل البيت" قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة"، فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا"

وبعد غزوة أحد أرسل إليها رسول الله ﷺ من يسأل عنها ليطمئن عليها، وسرّ نبي الرحمة ﷺ عندما بلغه خبر سلامتها.



جهادها في معركة اليمامة



بعد أن ادعى مسيلمة الكذاب النبوة، أرسل نبينا محمد ﷺ "حبيب بن زيد" ابن أم عمارة إلى مسيلمة برسالة، فأسره مسيلمة وشد قيوده، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، وإذا قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: أنا أصمّ لا أسمع، ففعل ذلك مرارًا، فقطّعه مسيلمة عضوًا عضوًا، فمات شهيداً رضي الله عنه.
فشهدت أم عمارة بعد ذلك معركة اليمامة لقتال مسيلمة، واقتحمت حديقة الموت باحثة عن مسيلمة الكذاب مدعي النبوة وقاتل ولدها، فقُطعت يدها وأصابها في ذلك اثنا عشر جرحًا، فلما وصلت إلى مسيلمة كان ولدها عبد الله بن زيد يمسح سيفه من دماء مسيلمة الكذاب بعد أن قتله بنفسه، وعادت للمدينة المنورة تداوي جراحها من جديد وكان يزورها أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ يطمئن عليها.
توفيت أم عمارة في خلافة عمر بن الخطاب عام 13هـ، رضي الله عنها وأرضاها.

سلمة بن الأكوع

(رضي الله عنه)

هو سلمة بن عمرو بن الأكوع من بني أسلم، أسلمَ وعمره يقارب ستة عشر عامًا، شهد بيعة الرضوان حيث بايع النبي ﷺ على الموت، وحاز فضيلة المبايعة ثلاث مرات متتاليات، يقول سلمة:

(ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال: بايع يا سلمة؟ قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، قال: وأيضاً، قال: ورآني عزلاً -أي ليس معه سلاح- فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حجفة أو درقة، ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس قال: ألا تبايعني يا سلمة؟ قال: قلت: يا رسول الله! قد بايعتك في أول الناس وفي أوسط الناس! قال: وأيضاً، قال: فبايعته الثالثة.)

شجاعته وسرعته في الجري

كان سلمة قوي البُنية، من أسرع عدّائي العرب، ظهر ذلك جليًّا عندما اندس جاسوس في مجلس لرسول الله ﷺ أثناء استراحة للجيش في طريق أحد الغزوات، فقام الجاسوس وانطلق على جمل له يريد قومه ليخبرهم بما رآه في جيش المسلمين، فأمر النبي ﷺ أصحابه بأن يلحقوه ويقتلوه، فانطلق رجل من الصحابة على ناقة له، وتبعه سلمة يجري على قدميه، فسبق سلمة ناقة الصحابي أولًا، ثم لحق بجمل الجاسوس فأناخه، واستلّ سيفه وقتله وعاد لرسول الله ﷺ فرحًا بإنجازه.



بطولته في غزوة الغابة "ذي قَرَد"

خرج سلمة رضي الله عنه مع غلام اسمه رباح لرعي إبلٍ ومواشي للنبي ﷺ، فداهمتهم جماعة من المشركين بقيادة عبد الرحمن الفزاري في آخر الليل، فسرقوا إبل النبي ﷺ ومواشيه وقتلوا راعيه، وانطلق رباح ليبلغ النبي ﷺ بما حدث، في حين صعد سلمة الجبل ونادى بأعلى صوته (يا صباحاه) وهو نداء يشير إلى وجود خطر أو غارة، ولم ينتظر حتى يأتيه المدد، بل اتبع آثارهم يجري خلفهم ويرميهم بالسهام وهو يقول: (أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضّع) والرضع مصطلح له دلالة على اللؤم عند العرب وكأنه يقول (اليوم يوم هلاك اللئام)، واستمر في عَدْوه مسرعًا يضرب قوائم خيولهم بالسيف تارة، ويرميهم بالسهام تارة، فإن عادوا تجاهه محاولين قتله انحاز واختبأ بين الشجر والصخور، فإن تابعوا مسيرهم عاد من جديد يجري خلفهم ويرميهم ويقول (خذها وأنا ابن الأكوع)، ولم يزل يكر ويفر ويرميهم بنباله حتى تركوا خلفهم ما سرقوه، ورموا ممتلكاتهم من متاع ورماح في محاولة للتخفيف من أحمالهم، فيجمع سلمة ما يتركوه من غنائم ويضع فوقها حجارة كعلامة ليراها رسول الله ﷺ من خلفه، واستمر على تلك الحال إلى وقت الضحى، فجلسوا يستريحون في مكان لا تصلهم فيه نبال سلمة.



وبينما هو يراقبهم من بعيد إذ ظهر مدد رسول الله ﷺ يتقدمه اثنان من الصحابة الكرام، الأخرم الأسدي وأبو قتادة الأنصاري، فاقتتلا بسيفيهما مع المشركين، فقُتل الأخرم، وقتل أبو قتادة رضي الله عنه قائدهم عبد الرحمن الفزاري، وانطلق بقية المشركين مسرعين وتبعهم سلمة من جديد يعدو خلفهم حتى ابتعدوا عن مدد رسول الله ﷺ فلم يعد يراهم خلفه، وقبل مغيب الشمس من ذلك اليوم وصلوا إلى بئر ماء يقال له "ذي قرد" فنزلوا يريدون شرب الماء بعد أن أنهكهم العطش، فأسرع يعدو نحوهم حتى رأوه فهربوا قبل أن يشربوا من البئر قطرة ماء، ورمى رجلًا منهم في كتفه وقال له : (خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع) فقال: (يا ثكلته أمه! أكوعُهُ بُكرَة؟!) أي أنت الأكوع الذي كنت صباح هذا النهار؟ فأجابه سلمة: (نعم يا عدو نفسه، أنا أكْوَعُك بكرة) وفرّ هاربًا وقد أذهلته قوة سلمة وقدرته على مطاردة الفرسان راجلًا ليوم كامل، وتركوا خلفهم فرسين عاد بهما سلمة للنبي ﷺ، فاستقبله مبتسماً فرحاً بهذا البطل الذي قام مقام كتيبة بأكملها، فاستأذن منه سلمة أن يأخذ مئة رجل ويلحق بهم مرة أخرى، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وأخبره أنهم في أرض غطفان يجهزون لهم طعامًا، فجاءهم رجل من غطفان وأخبرهم أنه رأى أولئك النفر من المشركين في غطفان كما حدّث رسول الله ﷺ، وأنهم رأوا سواد رجل مقبل نحوهم فظنوه سلمة، ففروا هاربين قبل نضج طعامهم من جديد.

يحدثنا سلمة عن سعادته ذلك اليوم حين قال فيه رسول الله ﷺ: (كانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا اليومَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ) قالَ سلمة: (ثُمَّ أَعْطَانِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ سَهْمَيْنِ: سَهْمَ الفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمعهُما لي جَمِيعًا)



وفاة سلمة بن الأكوع

توفي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بالمدينة سنة أربع وسبعين من الهجرة، وهو ابن ثمانين سنة، يروي فيها قصة بطولته للرواة والمحدثين من بعده لنقرأها اليوم ونتذكر تضحيات جيل من الصحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبذلوا ما بذلوا لنكون اليوم مسلمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

((لا تسبُّوا أصحابي؛ فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه))

البراء بن مالك

(رضي الله عنه)

البراء بن مالك بن النضر، هو أخ الصحابي الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وأمه صحابية فاضلة تعرف بقوتها وشجاعتها، هي "الرميصاء" أم سليم بنت ملحان، من أبرز سماته التواضع والزهد، قال فيه رسول الله ﷺ :

(كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمرينِ لا يُؤبَهُ له لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه منهم البراءُ بنُ مالكٍ)

والطمر هو الثوب البسيط البالي، وكان هذا الحديث بشارة للبراء أنه مستجاب الدعاء عند الله تعالى.

وأما في ساحات الوغى فقد كان بطلًا مقدامًا لا يعرف الخوف لقلبه سبيلًا. أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراء المسلمين بإبعاده عن قيادة الجيوش لفرط شجاعته وإقدامه خوفًا على من معه من الجند من الهلاك فقال لهم: "لا تستعملوا البَرَاء على جيشٍ من جيوش المسلمين؛ فإنه مَهْلَكَةٌ من المهالك يُقَدِّمُ بهم"



البراء بن مالك .. صقر معركة اليمامة

بعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت قبائل من العرب عن الإسلام، وخاض أبو بكر الصديق رضي الله عنه معارك كثيرة ضد المرتدين، كان أشرسها على الإطلاق معركة اليمامة، حيث اجتمع قرابة أربعين ألف جندي يدافعون عن مدعي النبوة مسيلمة الكذاب، فعقد أبو بكر الصديق اللواء لخالد بن الوليد سيف الله المسلول، وأعطاه من الجند ما يساوي ربع جيش مسيلمة تقريبًا، معوّلًا في نصرهم على إيمانهم بالله تعالى وحسن توكلهم عليه، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

واشتد القتال، وكانت الغلبة للمؤمنين في أول الأمر، لكن سير المعركة بدا وكأنه يميل لصالح مسيلمة وجيشه، فلمعت في ذهن خالد فكرة مميزة ليزيد حماس مقاتليه، فنادى فيهم أن (تميّزوا) فانحاز المهاجرون للمهاجرين، والأنصار للأنصار، وأعطى كل فرقة لواءها، واحتدم التنافس بين الفريقين في ميدان من أشرف ميادين التنافس، تنافس على الجهاد والشهادة ونصرة الدين، وعلت أصوات حفّاظ القرآن الكريم يذكّر بعضهم بعضًا بشرف الرابط الذي يجمعهم، فتسمع سالمًا مولى أبي حذيفة يقول (يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال) وتجد من ينادي بهم (يا أهل سورة البقرة) فيدبّ الحماس في نفوس قرّائها وكأنهم تذكروا عزيزًا وثاروا لأجله.

وبدأت صفوف جيش مسيلمة تنهار تحت ضربات سيوف المؤمنين، فانحازوا إلى حديقة لهم ذات أسوار وأغلقوا خلفهم أبوابها، وعجز المسلمون عن اجتيازها وفتحها، فخطرت للبراء بن مالك فكرة غريبة لا تخطر إلا في بال من باع نفسه لله، طلب من الصحابة أن يرفعوه على ترس كبير ويرموه من فوق الأسوار إلى داخل الحديقة، ففعلوا ذلك، وحلّق البراء بن مالك رضي الله عنه كالصقر فوق رؤوس المرتدين وفاجأهم حين هبط عليهم من حيث لا يحتسبون، يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال إلى أن وصل بوابة السور محتملًا في ذلك ضربات السيوف تمزق جسده، وفتح الأبواب ودخل جيش خالد كالنهر هدّارًا، وانتهت المعركة بنصر المؤمنين بعد أن ارتقى كثير من الشهداء إلى بارئهم، ولهذا سميت تلك الحديقة بحديقة الموت.

وبحث الصحابة عن ذلك الفدائي الذي ضحى بنفسه في سبيل الله، فوجدوه وفي جسده أكثر من ثمانين ضربة سيف وطعنة رمح، وبقي القائد الرحيم خالد بن الوليد يداوي جراح البراء بنفسه قرابة شهر إلى أن كتب الله له الشفاء وعاد لميادين الوغى بطلًا لم تزده ضربات السيوف إلا شدة وبأسًا.

تضحيته لإنقاذ أخيه أنس بن مالك

في معركة من معارك العراق اجتمع المسلمون حول سور من أسوار الفرس يحاصرونه من أجل فتحه، فرمى الفرس كلاليب حامية تخطف الناس وترفعهم أعلى السور لقتلهم، فأصابت إحدى تلك الكلاليب الحامية أنس بن مالك رضي الله عنه، فنادى المسلمون أخاه البراء لإنقاذه، وما إن رآه حتى قفز إليه وأمسك السلسلة وبدأ بقطعها حتى تمكن من تحريره، وبعد أن اطمأن على أخيه نظر إلى يده فإذ بها قد ذاب لحمها وظهر بياض عظامه أمام عينيه، واحتسب كل ذلك في سبيل الله.



قضى على مئة مقاتل قبل استشهاده في فتح تستر

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاصر المسلمون أسوار مدينة تستر الواقعة في إقليم الأحواز شهورًا طويلة، خاض فيها المسلمون مع كتائب الفرس قرابة ثمانين معركة، يقاتلونهم ثم ينسحبون داخل أسوارهم، وضاق المسلمون ذرعًا بفتح تستر، فتذكروا حديث رسول الله ﷺ عن البراء بن مالك رضي الله عنه حين قال عنه (كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمرينِ لا يُؤبَهُ له لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه منهم البراءُ بنُ مالكٍ) فذهبوا إليه وطلبوا منه أن يقسم على الله أن يفتح لهم تستر، فأقسم على الله تعالى بيقين راسخ باستجابة دعائه وقال: (أقسِمُ عليك يا رَبِّ لَمَا مَنحتَنا أكتافَهم، وألْحَقْتَني بنَبيِّك)

واستجاب ربه دعاءه تمامًا كما وعده، فنزل سهم من داخل الحصن بجوار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه من رجل فارسي يطلب الأمان مقابل أن يدلهم على الطريق، وكان ذلك الطريق من داخل نفق مائي، فدخله جنود المسلمين ووصلوا داخل أسوار تستر قبيل الفجر وفتحوا أبوابها، واقتحمت جيوش الإسلام أسوار تستر أفواجًا، فتفاجأ الفرس بالمسلمين بين أظهرهم وهم نيام، واحتدمت المعركة وحمي الوطيس، ورأى بطلنا البراء بن مالك رضي الله عنه قائدهم "الهرمزان" من بعيد، فشق طريقه إليه يقاتل كل من يقف أمامه من الجند إلى أن قتل منهم مئة مقاتل، ووصل إلى الهرمزان ووقف في وجهه يبارزه، لكن تلك اللحظة كانت موعد استجابة دعائه أيضًا في أن يلقى رسول الله ﷺ شهيداً، وقتله الهرمزان، وارتقى البراء رضي الله عنه شهيدًا جميلًا بعد حياة عامرة بالجهاد والبطولات، وبعد أن كان بطل فتح تستر، فكانت خاتمة تليق ببطل تماماً كما كان يتمنى.



سعد بن أبي وقاص

(رضي الله عنه)

هو سعد بن مالك بن أُهَيْب القرشي، من بني زهرة أهل آمنة بنت وهب أُمّ نبينا محمد ﷺ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يفخر بقرابته من سعد ويقول: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ» أسلم وعمره لا يتجاوز ١٧ عامًا، وكان من السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. شهد مع رسول الله ﷺ المعارك كلها، وكان أول من رمى بسهم في الإسلام، وأول من أراق دمًا في سبيل الله، دعا له رسول الله ﷺ يومًا فقال: «اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمَيْتَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ» فكان إذا رمى أصاب، وإذا دعا استجيب له، وقف يوم أحد بثبات يدافع عن النبي ﷺ بقوسه وسهامه، ففداه ﷺ بأبيه وأمه لِما رأى من شجاعته واستبساله يومه ذاك فقال له: «ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي»، وعاش سعد عمره يفاخر بهذه المكانة العظيمة التي نالها من رسول الله ﷺ.. وحُقّ له ذلك.



سعد بن أبي وقاص قائد معركة القادسية

وقعت معركة القادسية في العراق عام ١٤ للهجرة، بين الجيش الفارسي الذي جهزه ملكهم يزدجرد من ١٢٠ ألف مقاتل وأوكل قيادته إلى رستم، وجيش جهزه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقيادة سعد بن أبي وقاص بأكثر من ٣٠ ألف مقاتل.
بدأت المفاوضات بين الجيشين، وتتابعت رسل سعد إلى رستم يدعونه للإسلام، منهم ربعي بن عامر الذي دخل عليه بلباس الحرب راكبًا فرسه، ونزل عنها أمام رستم يطعن برمحه الوسائد الحريرية والفرش الوثيرة وقال بقوة وثقة: (لقد ابتعثنا اللهُ لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، فمن قَبِلَ ذلك منا قبلنا منه، وإن لم يقبل قبلنا منه الجزية، وإن رفض قاتلناه حتى نظفر بالنصر) وانتهت تلك المفاوضات باختيار القتال كحل وحيد.

كان سعد ذلك الوقت يعاني من مرض ودمامل منعته من الحراك في ساحة المعركة، فأدارها من فوق حصن يشرف على الساحة يدبر الخطط وينظم الجند ويراقب كل كبيرة وصغيرة.
استمرت المعركة أربعة أيام عُرفت بقساوتها وشدتها، واجه فيها المسلمون تحديات لم يعهدوها مسبقًا.

اليوم الأول "أرماث":

بدأت المعركة بين الفريقين بهجوم مباغت للفرس على قبيلة "بجيلة" وسقوط عدد كبير من مقاتليها، واستخدم الفرس قطيعًا من الفيلة فيه أكثر من ثلاثين فيلًا، ولم تكن خيل المسلمين اعتادت رؤية الفيلة، مما أدى لنفورها والهرب من أمامها، فأمر سعد كتيبة خاصة من أمهر الفرسان بتحطيم التوابيت الخشبية المقامة على ظهور الفيلة، فتساقط عنها جنود الفرس وأُخرج سلاح الفيلة من المعركة مؤقتًا، وكان اليوم الأول من المعركة قاسيًا على المسلمين

اليوم الثاني "أغواث":

أرسل عمر بن الخطاب مددًا للمسلمين من ستة آلاف مقاتل، وصلت أول فرقة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي أفضل مقاتلي المسلمين ومعه ألف مقاتل، روي أن أبا بكر الصديق قال عن القعقاع "لصوت القعقاع في الجيش أفضل من ألف رجل"
وأقدم القعقاع على مناورة عسكرية ذكية، حيث قسم فرقته إلى عشرة أقسام، وانطلقت أول مئة ومعهم القعقاع يرفعون أصواتهم بالتكبير ويثيرون الغبار حولهم، ثم تبعتهم المئة الثانية، وهكذا حتى اكتملوا مساء، واشترك في هذه المناورة فرقة ثانية من الجيش المسلم، فأدى ذلك إلى إيهام الفرس بأن عشرات الآلاف من المسلمين قد وصلوا مما جعل الرعب يدب في قلوبهم.

وبارز قادة المسلمين بعض قادة الفرس، وقُتل كل من تقدم للمبارزة من قادة الفرس فانهارت معنويات جندهم تمامًا، وألبس القعقاع الجمال في جيشه خرقًا وبراقع ملونة ووضع في أعناقها أجراسًا، فخافت خيل الفرس وهربت من أمامها مما ألحق بهم هزائم فادحة، وانتهى اليوم الثاني لصالح المسلمين.

اليوم الثالث "عِماس"

وفي هذا اليوم فاجأ الفرس المسلمين بإحضار الفيلة مرة أخرى، فأمر سعد بن أبي وقاص باستهداف عيون الفيل الأبيض -وهو أكبرهم- وقَطْع خرطومه بالسيوف والرماح، وفعلوا ذات الأمر بالفيل الأجرب، فارتد الفيلان عن جيش الفرس وتبعتهما بقية الفيلة وهلك كل من في توابيتها من جند، وقاتل المسلمون قتالًا شديدًا استمر إلى الليل لأول مرة، وسميت هذه الليلة "ليلة الهرير"

اليوم الرابع "القادسية"

استمر القتال بعد ليلة هرير في الصباح، وكانت صفوف الفرس تنهار تدريجياً حتى قُتل قائدهم رستم، فانسحب الفرس نحو النهر يريدون العبور إلى المدائن، فلحق بهم المسلمون وقتلوا منهم الأولوف في النهر وطاردوهم في البوادي فمات منهم قرابة خمسون ألفاً، ولم يصل إلى المدائن إلا قليل، وخضع العراق بعد معركة القادسية خضوعًا مباشرًا لدولة الخلافة، فنشر المسلمون الدعوة، واعتنق الإسلام حوالي أربعة آلاف من جُند رستم بعد المعركة، واستقبل سعد بن أبي وقاص وفودًا كثيرة من قبائل العرب فأعلنوا إسلامهم.

سعد بن أبي وقاص في إيوان كسرى

وتوالت انتصارات المسلمين على الفرس بقيادة سعد بن أبي وقاص، فانتصر في معركة بُهْرَسِير، وتبعتها موقعة المدائن التي انتهت بدخول سعد القصر الأبيض، وانتهى إلى إيوان كسرى، وهو يقرأ قوله تعالى: "كم تركوا من جنات وعيون *وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قومًا آخرين"
وأرسل سعد كنوز كسرى إلى عمر بن الخطاب، وسقطت المدائن عاصمة الفرس العريقة في أيدي المسلمين فكان سقوطها إيذانًا بانهيار إمبراطورية الفرس كلها.

وفاة سعد بن أبي وقاص

عاش سعد عمرًا طويلًا، رزقه الله فيه من المال الكثير؛ قبل وفاته دعا بجبة بالية، وقال: «كفنوني بها؛ فإني لقيت بها المشركين يوم بدر، وإني أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضًا».
وقال لابنه: «ما يُبكيك يا بني؟! إن الله لا يُعَذِّبني أبدًا، وإني من أهل الجنة».
كانت وفاته سنة ٥٥ من الهجرة، وكان آخر المهاجرين وفاة، ودُفِن في البقيع.



خالد بن الوليد

(رضي الله عنه)

هو الصحابي الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وأمه لبابة بنت الحارث، أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، أسلم متأخراً في السنة الثامنة من الهجرة، بعد أن رأى في كل حرب وحملة خاضها ضد رسول الله ﷺ ما يدل على أنه نبي مرسل، وبعد صلح الحديبية علم بسؤال النبي ﷺ عنه واهتمامه بشأنه ورغبته بانضمامه للمسلمين، ففرح لذلك وزال ما في قلبه من تردد وأقبل إلى رسول الله ﷺ مسلمًا.

مدحه رسول الله ﷺ قائلاً عنه "نِعمَ عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله".



مهاراته في قيادة الجيوش

عُرف خالد بمهارته في قيادة الجيوش وعبقريته في التخطيط لها، وعُرف بتكتيكاته العسكرية المحكمة وحسن إدارته لأشد الأزمات بسرعة بديهته وقوة تنفيذه، فلم يهزم في معركة قادها قط.

شارك في معركة مؤتة جندياً بدايةً في صفوفها، وقاد جيشها بعد استشهاد ثلاثة من قادتها، فأخذ الراية واستطاع أن يدبر خطة محكمة أنقذ فيها الجيش المسلم وعاد به سالمًا إلى المدينة المنورة.

من عجيب ما قال عن قتاله يوم مؤتة: (لَقَدِ انْقَطَعَتْ في يَدِي يوْمَ مُؤتَةَ تِسْعَةُ أَسْيافِ، فَمَا بقِيَ فِي يدِي إلاَّ صَفِيحةٌ يَمَانِيَّةٌ)

وشارك في حُنين وجرح فيها جرحًا بليغًا، فأتاه رسول الله ﷺ فنفث في جرحه فبرئ بإذن الله.

وشارك في تبوك ودومة الجندل وفتح مكة، وبعد وفاة النبي ﷺ كان خالد السيف المسلول على المرتدين، وقاد معركة اليمامة وانتصر فيها على مدعي النبوة مسيلمة الكذاب، وكان له حظٌ وافرٌ من فتوحات الشام والعراق وأبلى بلاء حسنًا في أجنادين وذات السلاسل وعين التمر والأنبار وغيرها.

قيادته لمعركة اليرموك

بعد انتصارات الجيوش الإسلامية في مناطق واسعة من بلاد الشام أراد الروم استعادة ما خسروه من أقاليم، وفرض هيبتهم من جديد بعد سلسلة الهزائم التي أصابت سمعتهم ومعنوياتهم في مقتل.

فجهزوا جيشًا قوامه نحو مئتي ألف مقاتل، وتوجهوا إلى اليرموك حيث اجتمع الجيش المسلم هناك بقيادة خالد بن الوليد، وكان قوامه أكثر من أربعين ألف مقاتل.

قام خالد بتقسيم الجيش إلى قطع تسمى "كراديس" في كل قطعة منها نحو ألف مقاتل، فكان تحت يده قرابة أربعين قطعة عسكرية وزعها لتنفيذ خطة تضمن انتصاره على جيش يفوقه في العدد أضعافًا مضاعفة.

وزحف جيش الروم كغيمة سوداء تملأ السهول والتلال، وحصلت بين الفريقين مفاوضات باءت بالفشل، فبدأت المعركة بمبارزات بين القادة الكبار كان أحدها بين "جرجة" قائد المقدمة في جيش الروم وطلب مبارزة خالد بن الوليد، تقدم جرجة حتى اقترب من خالد، وبدلًا من أن يبدأ القتال سأله عن الإسلام، وعن سر قوته وقوة المسلمين، ولأن خالدًا يؤمن أن الهدف الرئيسي لكل مسلم هداية الناس للإسلام استمر بالحديث مع جرجة حتى أحب الإسلام، فعاد به خالد إلى صفوف المسلمين ونطق جرجة الشهادتين، وتوضأ وصلى ركعتين مع خالد رضي الله عنه وجاهد معه ضد الروم واستشهد في تلك المعركة ولم يمر على إسلامه إلا ساعات معدودة رحمه الله.

وفي تلك الأثناء وصل بريد إلى خالد من الخليفة عمر بن الخطاب يبلغه فيه بوفاة أبي بكر الصديق وتولي عمر الخلافة من بعده، ويأمر فيه بعزل خالد من قيادة الجيوش وتعيين أبي عبيدة بن الجراح قائدًا بدلًا منه، بعد أن خاف عمر من افتتان الجنود المسلمين فيه وتعلقهم بخالد كسبب للنصر بدلًا من تعلقهم بالله تعالى.

لكن خالدًا أخفى الخبر بعد مشاورة أبي عبيدة رضي الله عنه خوفًا من اضطراب الجند لخبر وفاة أبي بكر الخليفة المحبوب، واستمر في قيادة المعركة بعد أن أذن له أبو عبيدة بذلك



واحتدم القتال وأحاطت كراديس الجيش المسلم بالروم من كل اتجاه، واشتد القتل فيهم، واصطف جند الروم جماعات صغيرة، كل جماعة منها رُبطت بسلسلة واحدة ليكونوا أكثر ثباتًا، فحاصرهم المسلمون بين وادي اليرموك ونهر الزرقاء، وسدوا عليهم كل ثغرة ومنفذ، وحل الليل حتى صعبت عليهم الرؤية وفروا هاربين لا يدري آخرهم ما يحصل لأولهم، فجعل الجندي من الروم يسقط في وادي اليرموك فيسقط كل من رُبط معه في سلسلته من رجال، وهلك بهذه الطريقة عشرات الآلاف منهم، قُدّر عددهم من ثمانين إلى مئة وعشرين ألفًا تكدسوا بعضهم فوق بعض، عدا من قتل أثناء المعركة من الفرسان والمشاة، وفرت فلول الروم هاربة إلى دمشق وكانت تلك من أهم المعارك التي أخرجت الروم من بلاد الشام وزلزلت عروشهم فيها.

وانتهت المعركة بنصر عظيم للمسلمين، ووقف خالد بن الوليد يخطب في الناس، وأبلغهم وفاة أبي بكر الصديق وخبر عزله عن القيادة بكل بساطة وتواضع يدل على إخلاص لله تعالى وصفاء القلوب وتعلقها بغاية عظمى، وسمو على حب الدنيا وزينتها ومناصبها، وقدّم أبا عبيدة كقائد جديد للجيوش وانصرف بهدوء ليأخذ مكانه بين جند المسلمين.

وفاته رضي الله عنه

لما حضرته الوفاة، وأدرك ذلك، بكى وقال: (ما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتّها وأنا متترس والسماء تنهل علي، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار. فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا، وكذا زحفًا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء! لقد طلبت القتل في مظانه، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي)

توفي خالد بن الوليد في مدينة حمص سنة واحد وعشرين للهجرة، تاركًا خلفه سيفًا وفرسًا جعلها وقفًا لله تعالى، بعد أن قدم لأمة الإسلام انتصارات عظيمة غيرت مجرى التاريخ وجعلته أشهر أعلام الإسلام، وأشهر القادة العسكريين على مستوى العالم، ولا زالت خططه العسكرية تحظى باهتمام كبير وتدرّس في أشهر الأكاديميات العسكرية إلى يومنا هذا.

عمرو بن العاص

(رضي الله عنه)

هو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، أحد رؤساء قريش ووجهائها، عرف بين الناس بالفطنة والحزم والدهاء، حارب الإسلام بكل الطرق قبل أن ينير الله قلبه، وذهب إلى النجاشي لاسترداد المسلمين الذين هاجروا للحبشة للعودة بهم إلى قريش وفتنتهم عن دينهم، وكانت تجمعه بالنجاشي روابط صداقة قوية امتدت لسنوات قبل إسلامه، وكانت تلك المحاولة سببًا يسره الله ليدخل في هذا الدين العظيم، فوضع بين يدي النجاشي الكثير من الهدايا، وطلب منه أن يعطيه أصحاب رسول الله ﷺ، فغضب النجاشي منه غضبًا شديدًا، ورفض أن يسلمه أحدًا منهم، وأقسم له أن الإسلام دين الحق، وأن محمدًا ﷺ رسول من عند الله، فما كان من عمرو بن العاص إلا أن بايع النجاشي على الإسلام وتوجه إلى المدينة المنورة ليعلن إسلامه.

دخل عمرو بن العاص الإسلام بصحبة خالد بن الوليد قبل فتح مكة بنحو ستة أشهر، وفرح به رسول الله ﷺ فرحًا شديدًا، وكان ﷺ يقول: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاص» روى عن رسول الله ﷺ نحوًا من أربعين حديثًا، وتولى مع خالد بن الوليد قيادة الجيوش رغم تأخر إسلامهما لفطنتهما وخبرتهما العسكرية العالية، يقول عمرو بن العاص: "ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحدًا من أصحابه في حربه منذ أسلمنا".

عرض عليه ﷺ قيادة معركة والغنيمة منها، فوافق عمرو على القيادة في سبيل الله لا حبًا بالمال والغنيمة، فقال له ﷺ: (يا عمرُو، نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للمَرءِ الصَّالحِ.)

استعمله رسول الله ﷺ في ذات السلاسل، وعيّنه واليًا على عُمان قبل وفاته، وجاهد جهادًا عظيمًا في حروب الردة في زمن أبي بكر، وكان من أمراء الجهاد بالشام في زمن عمر، فافتتح قِنَّسْرِين وصالح أهل حلب ومَنْبج وأنطاكية وولاه عمر بن الخطاب فلسطين بعد أن كان فتح أكثر أرضها على يديه.

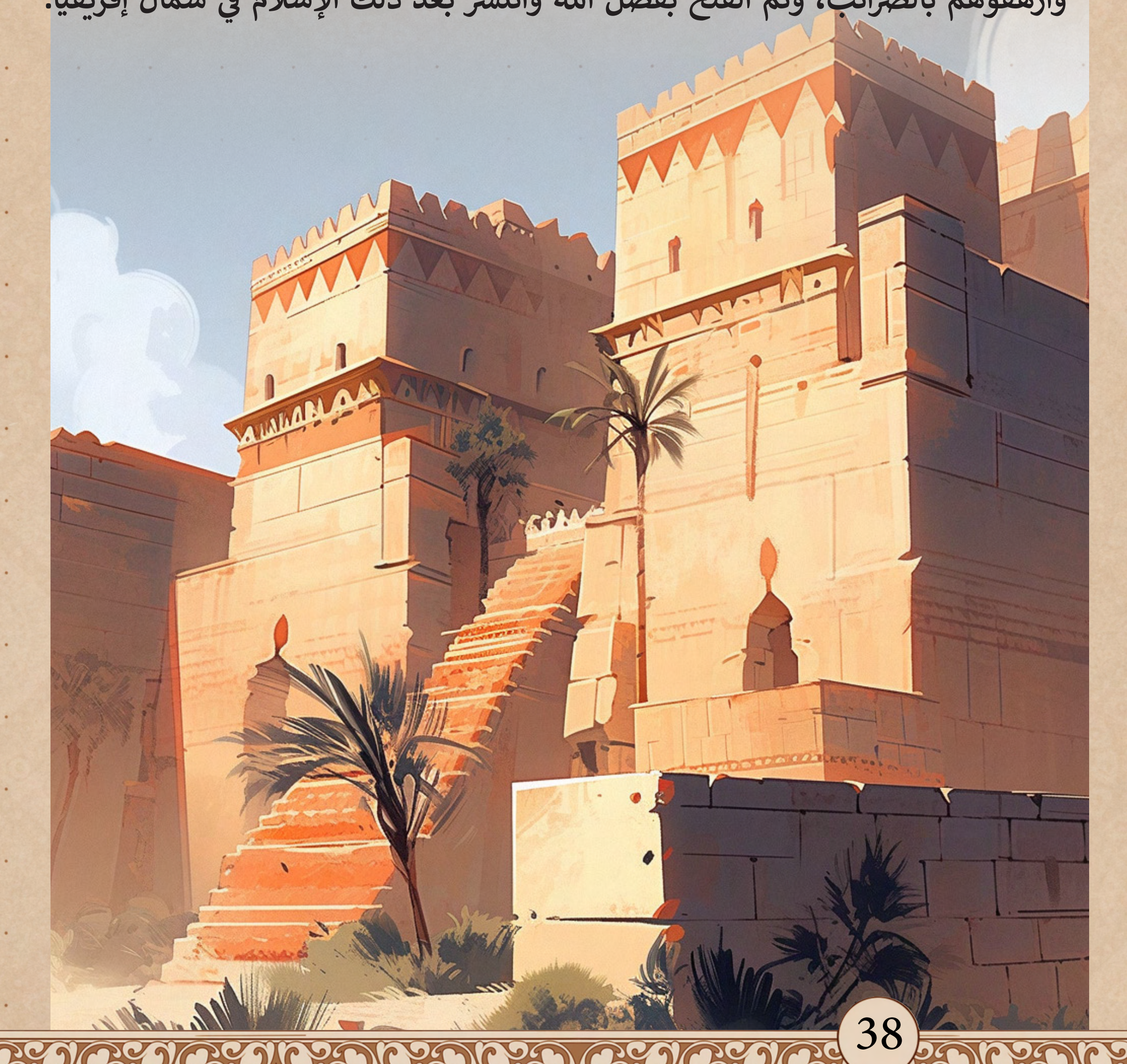


عمرو بن العاص قائد الفتح الإسلامي في مصر

قام عمرو بن العاص بإقناع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بأهمية فتح مصر، فسار بأربعة آلاف جندي فقط من فلسطين حتى دخل مصر، وفتح العريش بسهولة كبيرة لقلة تحصينها وعدم وجود حامية رومية فيها، وسار بجيشه إلى أن وصل مدينة الفرما ذات الحصون القوية، فحاصرها شهرًا ثم فتحها عام ١٩ للهجرة، وفتح بعدها بلبيس بعد شهر من الحصار أيضًا، وطلب مددًا من عمر بن الخطاب فأرسل له أربعة آلآف مجاهد بقيادة الزبير بن العوام، ووصلوا إلى عين شمس فسار عمرو لاستقبالهم، لكن قائد الروم تيودور جمع جيشًا من عشرين ألف مقاتل للقضاء على المسلمين قبل وصول المدد، فتنبه له عمرو بن العاص وأعد له كمينًا محكمًا بين الجبل الأحمر والنيل، فوجد تيودور نفسه محاطًا بالمسلمين من كل جانب، وانهزم جيشه وفرّ أكثر جنوده إلى حصن بابليون.



حاصر عمرو بن العاص حصن بابليون، وطال حصاره لقلة جند المسلمين وقلة عتادهم مقابل آلاف من جند الروم داخل حصون متينة، فتقدم البطل العظيم الزبير بن العوام رضي الله عنه ووضع سلمًا على الحصن بعد أن عصب رأسه بعصابة صفراء، وأمرهم بالتكبير جميعًا بعد صعوده وسماع تكبيره، فما شعر الروم إلا والزبير فوق الحصن يكبر، وقفز داخل الحصن وبدأت جموع المسلمين بالتكبير بصوت واحد، فزُلزلت قلوب الروم وارتبكوا وظنوا أن المسلمين بينهم داخل الحصن، واستطاع الزبير فتح الباب ودخلت جموع المسلمين، فخاف المقوقس وطلب الصلح فأجابه عمرو لذلك، وتوجه بعدها لفتح الإسكندرية، وفتحت مصر عام ٢٠ للهجرة، وتم ذلك بسهولة نسبيًا، لترحيب المصريين بالجيش المسلم والوقوف معهم ومساندتهم بعد أن وصلتهم أخبار رحمة المسلمين وعدلهم، فاشتاق المصريون للتحرر من الروم الذين اضطهدوهم دينيًا وأرهقوهم بالضرائب، وتم الفتح بفضل الله وانتشر بعد ذلك الإسلام في شمال إفريقيا.



وفاته

مرض عمرو بن العاص مرض وفاته عام ٤٣ للهجرة، وكان يبكي قبل موته على زمن حارب فيه رسول الله ﷺ قبل إسلامه فيقول:

(لقَدْ رَأَيْتُنِي وما أحَدٌ أشَدَّ بُغْضًا لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِنِّي، ولا أحَبَّ إلَيَّ أنْ أكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ منه، فَقَتَلْتُهُ، فلوْ مُتُّ علَى تِلكَ الحالِ لَكُنْتُ مِن أهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإسْلامَ في قَلْبِي أتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قالَ: ما لكَ يا عَمْرُو؟ قالَ: قُلتُ: أرَدْتُ أنْ أشْتَرِطَ، قالَ: تَشْتَرِطُ بماذا؟ قُلتُ: أنْ يُغْفَرَ لِي، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّ الإسْلامَ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ؟ وأنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَها؟ وأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ؟ وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، ولا أجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلأَ عَيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عَيْنَيَّ منه، ولو مُتُّ علَى تِلكَ الحالِ لَرَجَوْتُ أنْ أكُونَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينا أشْياءَ ما أدْرِي ما حالِي فيها، فإذا أنا مُتُّ فلا تَصْحَبْنِي نائِحَةٌ، ولا نارٌ، فإذا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لَحْمُها، حتَّى أسْتَأْنِسَ بكُمْ، وأَنْظُرَ ماذا أُراجِعُ به رُسُلَ رَبِّي.)

ولا تزال أمم وشعوب كثيرة تدين بالإسلام والتوحيد إلى يومنا هذا بجهود وتضحيات هذا الرجل العظيم ومن معه من الصحابة الكرام، رضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عن أمة الإسلام خيرًا.



عبد الله بن أبي سرح

(رضي الله عنه)

هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث، القرشي العامري، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، أسلم قبل فتح مكة، إلا أنه ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بعد ذلك، فأهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فلجأ إلى عثمان بن عفان، فأجاره وطلب له الأمان عند رسول الله ﷺ، فأسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه.

تعددت أقوال الصحابة رضي الله عنهم في نزول قول الله تعالى { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ } وكان قول ابن عباس رضي الله عنه فيها أنها نزلت في عبد الله بن أبي سرح بعد توبته.

قال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء:

"لم يتعدَّ ، ولا فعل ما يُنقم عليه بعدها – أي : بعد فتح مكة - ، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم "

شهد فتح مصر وكان قائد ميمنة الجيش تحت قيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، وعندما تولى عثمان بن عفان الخلافة أعطاه ولاية مصر، وذلك سنة ٢٥هـ.



عبد الله بن أبي سرح فاتح النوبة وشمال أفريقية

في عام ٢٧هـ طلب عثمان بن عفان من عامله على مصر عبد الله بن أبي سرح أن يتوجه إلى أفريقية، فتقدم عبد الله بجيشه فاتحًا وقتل ملكها جرجير، وانتهت المعركة بصلح مع بطريرك أفريقية على تأدية الجزية للمسلمين، وبهذا يكون عبد الله بن أبي سرح أول من فتح باب الجهاد والدعوة في تلك البقاع لتكون نقطة انطلاق لنشر الإسلام في الشمال الإفريقي كله.

وغزا عبد الله بن أبي سرح النوبة في عام 31هـ فقاتله الأساود من أهل النوبة قتالاً شديدًا، وانتهى الأمر بهدنة معهم تضمن استقلالهم مقابل دفعهم للجزية.

اشتراكه في فتح قبرص

في سنة 28هـ ركب معاوية بن أبي سفيان البحر من ميناء عكا إلى قبرص في أول أسطول بحري للجيش المسلم، ولحق به من الجانب الآخر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فحاز شرف أن يكون قائدًا في رحلة بحرية بشر بها رسول الله ﷺ يومًا حين رأى في نومه رؤيا حق عن غزو المسلمين في السفن في عرض البحر، فوصفهم بقوله: ﴿نَاسٌ مِن أُمَّتي يَرْكَبُونَ البَحْرَ الأخْضَرَ في سَبيلِ اللَّهِ، مَثَلُهُمْ مَثَلُ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ﴾. وقال ﷺ في بيان عظيم أجرهم عند الله تعالى: (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا)



عبد الله بن أبي سرح قائد معركة ذات الصواري

ذات الصواري .. أول معركة حاسمة خاضها المسلمون في عرض البحر عام ٣٥هـ، وذلك بعد الهزيمة المُرة التي لحقت بجيش الروم في أفريقية وأدت إلى سيطرة المسلمين على جزء كبير من سواحل المتوسط، فأراد قسطنطين بن هرقل الانتقام من المسلمين، فجمع أسطولًا من ألف سفينة لمواجهة المسلمين في البحر هذه المرة بعد خسائر مستمرة لحقت بهم في البر، على أمل النصر على المسلمين حديثي العهد بمعارك البحار.

فأرسل معاوية بن أبي سفيان أسطوله من الشام إلى مصر بأمر من الخليفة عثمان رضي الله عنه، واجتمع مع أسطول ابن أبي سرح ليصبح عدد سفن أسطول المسلمين ٢٠٠ سفينة فقط.

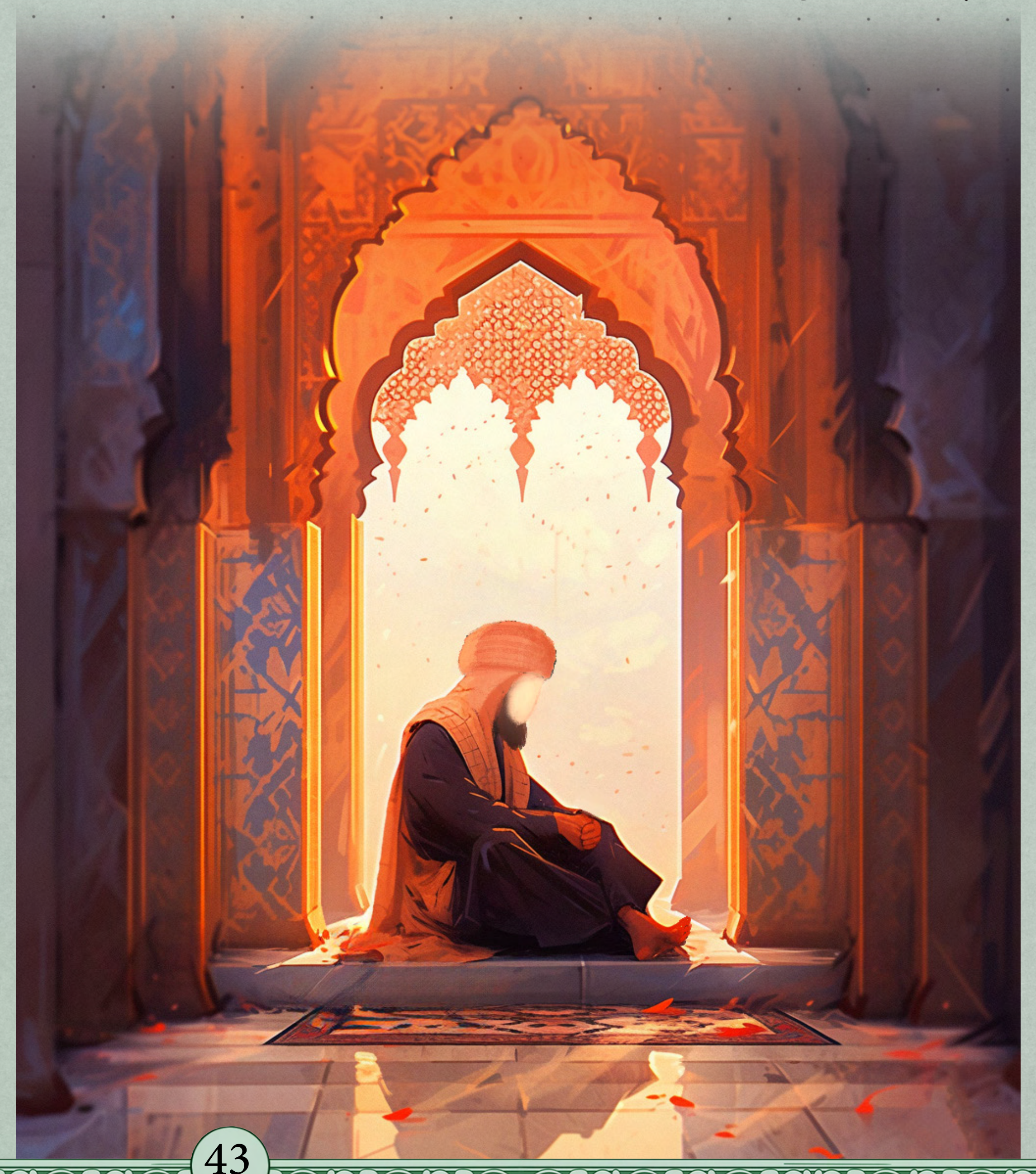
والتقى الجيشان دون قتال أول الأمر في عرض البحر، وابتهل المسلمون إلى الله بالدعاء ليلًا لعلمهم أن النصر من الله وحده، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، واستشار عبد الله بن أبي سرح رجال الرأي والمشورة في جيشه بعد أن أعد خطة ذكية محكمة تؤدي إلى تحويل البحر إلى برّ، ليتمكن مقاتلوه من القتال بحُرّية، فاقتربت سفن المسلمين من سفن الروم وغطس الفدائيون المهرة وربطوا السفن ببعضها بحبال متينة ليسهل تنقل الجند فيما بينها، وصارت سفن الأسطولَين متصلة تمامًا كأنها قطعة من اليابسة، وبدأ القتال بين الفريقين، وكان قتالًا شديدًا حوّل صفحة الماء إلى اللون الأحمر من كثرة ما سال من دماء بين تلك السفن، وترامت الجثث في البحر تباعًا، وفقد المسلمون عدداً كبيراً من الشهداء، في حين كانت أعداد القتلى من الروم لا تحصى، بل وصف بعض مؤرخي الروم ذات الصواري بأنها يرموكًا ثانية لشدتها على الروم وكثرة ما فقدوا فيها من جند، ورأى قسطنطين أسطوله يغرق أمام عينيه، ورأى دماء جنده تملأ البحر، فهرب إلى جزيرة صقلية ليحتمي بها، فقتله أهلها من الروم بعد أن أخبرهم بخسارته في معركة ذات الصواري.

وبعد هذا النصر العظيم خضع البحر المتوسط للسيطرة الإسلامية، وصار الأسطول الإسلامي سيد مياه البحر المتوسط، يتحرك فيه كيفما شاء بهدف الدعوة لدين الله ومحاربة كل من يحول بين الإسلام وأمم الأرض كافة.



توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح عام ٥٩هـ بعد أن أنهى صلاة الفجر، ليُختم له بخير بعد سيرة بدأت بردّة عن الدين، تبعتها عودة قوية صادقة للإسلام، فكانت حياته مليئة بالجهاد والنصر والفتوحات.

كانت كل خطوة من خطوات ابن أبي سرح تعلمنا أن لا يأس من رحمة الله، وأن باب العودة مفتوح حتى لمن ارتكب أكبر ذنب قد يقع به بشر، فباب التوبة لا يُغلق ما دامت الروح في الجسد، ولا يَمنع ذنب الأمس من بلوغ المعالي في الغد.. فالإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها، ومن صدق الله صدقه الله.



قتيبة بن مسلم الباهلي

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي، ولد عام ٤٩هـ في بيت إمارة وقيادة، كان أبوه "مسلم بن عمرو" أحد القادة الكبار في العراق، تعلم العلم والفقه والقرآن الكريم، ونشأ على ظهور الخيل فارسًا مقدامًا واحترف فنون القتال من خلال مشاركته بالكثير من الحملات مع والده.

أوكل إليه والي العراق "الحجاج بن يوسف الثقفي" مهماتٍ كثيرة ليختبر مهاراته ويتعرف على جوانب نبوغه، وولّاه الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" مدينة الريّ وخراسان -تشمل أجزاء من إيران وأفغانستان وتركمانستان اليوم

وكانت تلك بدايته في حرب بلاد ما وراء النهر، ويُقصد به نهر المرغاب الذي كان الحد الفاصل بين الفرس والترك.



كان الفرس قد دخلوا الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، في حين كان لفتوحات قتيبة بن مسلم الأثر الأكبر في دخول الأتراك وبلاد ما وراء النهر في الإسلام. وتشمل بلاد ما وراء النهر اليوم أوزبكستان وأجزاء من كازاخستان وقرغيزستان.

فتح بيكند 87هـ

كان قتيبة بن مسلم يقود الفتوحات في بلاد ما وراء النهر، فغزا مدينة بيكند على طريق بخارى، فحاصرته جموع كثيرة من الترك لشهرين وسدوا عليه الطرق والمنافذ، وخاف الحجاج بن يوسف على قتيبة ومن معه من جند المسلمين وكتب إلى الأمصار يطلب من الناس الدعاء لهم في المساجد، وكان لقتيبة عين منهم -جاسوس- اسمه تندر يأتيه بالأخبار، فقدم له أهل بيكند مالًا كثيرًا ليصرف قتيبة عن أرضهم، فجاءه تندر وأعطاه خبرًا كاذبًا بعزل الحجاج واضطراب الدولة ونصحه بالانسحاب من بيكند، ففطن قتيبة لخبث تندر فقتله، وقام وحرض الناس على الحرب وأشعل في قلوبهم حب الجهاد والشهادة في سبيل الله فاقتتلوا مع الترك في معركة شرسة انتهت بكسر الحصار وهزيمة الترك وطلبهم للصلح مع قتيبة، فصالحهم على مال عظيم وأمّر عليهم قائداً مسلماً وترك معه فرقة من الجيش وانصرف عنهم، فغدروا ونقضوا عهدهم وقتلوا القائد المسلم وقطعوا أنوف جنده، فعاد لهم قتيبة مرة أخرى وحاصرهم شهرًا، فسألوه الصلح فأبى، وافتتح بيكند من جديد وقتل من غدر من جندها، وجاءه كبيرهم الذي حرضهم على الغدر ليفتدي نفسه بأموال كثيرة فقال له قتيبة: "لا والله لا أُروّع بك مسلمًا مرة ثانية" وأمر به فضرب عنقه.

فتح بخارى وسمرقند

وفي عام ٩٠هـ فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى -مدينة في أوزبكستان اليوم- بعد أن هزم جموعًا ضخمة من جندهم، وبعدها بثلاث سنوات فتح سمرقند -في أوزبكستان أيضًا- ودار فيها قتال عنيف، فصالحه أهلها، وبنى فيها مسجدًا وصلى فيه وخطب الناس، ثم أتى بأصنام القوم وجمع بعضها فوق بعض حتى صارت كالجبل وأمر بتحطيمها، فصرخ عُبّادها من الوثنيين خوفًا من غضب أصنام عجزت عن حماية نفسها، وجاء كبراؤهم يخوفون قتيبة من تبعات تحطيم آلهتهم، فحمل قتيبة شعلة من نار وقال: "أنا أحرقها بيدي فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون" فقام إليها وهو يكبر الله عز وجل وألقى فيها النار فاحترقت.



فتوحاته في أرض الصين

وفي سنة ٩٦هـ فتح قتيبة بن مسلم مدينة كاشغر من أرض الصين وأرسل لملك الصين رسولًا يعرض عليه الإسلام أو الجزية، وحلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرض الصين للقتال أو جبي الجزية، فقال ملك الصين: "أنا أبرّ يمينه"، فأرسل له ترابًا من أرضه ليطأه بقدميه، وأموالًا كثيرة لا عدّ لها، فقبل ذلك قتيبة بعد أن بلغه موت الوليد بن عبد الملك وحدوث اضطرابات لا يعلم بعد تبعاتها، وكان هذا آخر ما وصلت إليه جيوش إسلامية في آسيا شرقًا، ولم يصل أحد من المسلمين أبعد من ذلك قط.



وفاة قتيبة بن مسلم الباهلي

توفي قتيبة بن مسلم عام ٩٦هـ وعمره ٤٧ عامًا فقط، وقتل نتيجة تصفيات سياسية خلال الاضطرابات التي حصلت بعد وفاة الوليد بن عبد الملك وتولي سليمان بن عبد الملك الحكم من بعده، وكان في قتله خسارة لقائد فذّ لم تتمكن منه سيوف الوثنيين، بل قتلته خلافات المسلمين.

ويكفيه -رحمه الله- أنَّ عِرقًا كاملاً -هو العرق التركي- بكلِّ فروعه، قد دخل في الإسلام على يديه، فقد كان قتيبة حريصًا على نشر الدعوة الإسلامية وتعليم الناس علوم الدين في كل أرض يفتحها، وأضاف دخول الأترك في الإسلام قوة للدولة الإسلامية حيث نشأت منهم الدولة السلجوقية و العثمانية وقامتا بفتوحات عظيمة في أوروبا وآسيا الوسطى.



طارق بن زياد

بطل من أبطال الفتح الإسلامي، اتفق أكثر المؤرخين أنه كان أمازيغيًا بربريًا، ولد عام ٥٠هـ، وأسلم على يد والي إفريقية الفاتح الكبير "موسى بن نصير"، الذي كان يفتح قلوب الناس بالإيمان والهدى ويسوس بلدانهم بالعدل والإحسان.
حفظ طارق كتاب الله، وتفقه في الدين،عُرف بورعه وتقواه وشجاعته وقوته، فولّاه "موسى بن نصير" على مدينة طنجة، وأوكل إليه قيادة الجيوش في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وتم اختيار طارق بن زياد قائدًا للجند لكفاءته العالية، وقدرته على التعامل مع جيش أغلب جنده من البربر الأمازيغ لكونه واحدًا منهم يحسن فهمهم ويفقه لغتهم، فقاد جيشه لفتح الأندلس -إسبانيا والبرتغال اليوم- في عام ٩٢هـ ، لتخليصها من ظلم حكام القوط ونشر نور الإسلام فيها، وكانت تلك الخطوة الأولى لحكم استمر ٨٠٠ عام من الحضارة الإسلامية في الأندلس، حضارة قامت على العلم والعدل واشتهرت بالتقدم والتطور والعمران .
كانت الخطوة الأولى للجيوش الإسلامية في البر الأوروبي على شكل سرية استطلاعية من ٥٠٠ مقاتل بقيادة القائد الأمازيغي طريف بن مالك، الذي خاض البحر إلى الشاطئ الأوروبي وقام بعدة غارات وعاد بغنائم كثيرة ومعلومات دقيقة دفعت موسى بن نصير للعمل الجاد من أجل إرسال جيش كبير للبدء بالفتح الإسلامي..
وبدأ موسى بن نصير تجهيز الجيوش وإعداد السفن، واستغل وجود خلافات حادة بين الكونت "يوليان" والملك "لذريق"، حيث كان يوليان يتعاون مع المسلمين ويقدم لهم معلومات وتسهيلات ليتقدموا إلى الأندلس ويتخلص من حكم لذريق الملك الظالم الذي آذاه في عِرضه وحاز على السلطة بانقلاب ظالم.



تحرك الأسطول المسلم بقيادة طارق بن زياد لفتح الأندلس

حمل أسطول النور ٧٠٠٠ مجاهد مسلم بقيادة طارق بن زياد، وعبروا مضيق جبل طارق، ونزلوا جبل طارق الذي لازال إلى اليوم يحمل اسم هذا الفاتح العظيم، والتقوا بحامية للجيش الصليبي في جنوب الاندلس، فعرض عليهم طارق بن زياد الإسلام أو الجزية، فاختاروا القتال وباؤوا بهزيمة سهلة على يد جيش الإسلام رغم قلة عدده، وأرسل قائدهم رسالة إلى ملكهم لذريق يقول فيها:

(أدركنا يا لذريق، فإنا قد نزل علينا قوم لا ندري أهم من أهل الأرض أم من أهل السماء)

فأرسل لهم لذريق جيشًا قويًا بقيادة أكبر قادته "بنشيو"، الذي قتل في معركة خاسرة أمام جيش طارق وفر بقية جنده إلى لذريق يخبروه بهزائم متكررة أمام جيش من الابطال.

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ



معركة وادي لكة 92هـ.. أول معركة حاسمة على أرض الأندلس

سميت المعركة باسم "لكة" الوادي الذي وقعت فيه، وتسمى أيضا "معركة غواداليتي" وعُرفت أيضا باسم "شذونة" و"وادي برباط".

جن جنون لذريق بعد تلك الهزائم، فأعد جيشًا جرارًا من مئة ألف مقاتل، في حين وصل مدد إضافي من الجند من موسى بن نصير إلى طارق بن زياد ليصبح عدد جنده ١٢ ألف مقاتل أغلبهم رجّالة مع عدد قليل من الفرسان.
وبدأ طارق بالتخطيط للفوز بمعركة ضد جيش ضخم يفوقه عددًا بأضعاف كثيرة، فاختار منطقة "وادي لكة" حيث كان من خلفه وعن يمينه جبل شاهق يحمي به جيشه، وتحدّه من يساره بحيرة كبيرة، ووضع على مدخل الوادي فرقة بقيادة طريف بن مالك، ليستدرج قوات لذريق من الناحية الأمامية دون أن يتيح له فرصة الالتفاف حول جيشه.

وجاء لذريق بتاجه الذهبي ولباسه المذهب، جالسًا على سرير محلى بالذهب يجره بغلان، وهو ينظر بكبر وغرور وازدراء إلى ١٢ ألف مسلم أمام جيشه الجرار، لكنه لم يعرف أن الإيمان في قلوب هذه الفئة القليلة هو السر الأعظم للنصر في جيوش المسلمين.

بدأت تلك المعركة في شهر رمضان المبارك، واستمرت ثمانية أيام سطر فيها الجيش المسلم أروع أساطير البطولة والصمود، سقط فيها جند لذريق صرعى تحت سيوف المسلمين بعد خيانات داخلية كبيرة مزقت صفوفهم وشتتت شملهم، وقتل ملكهم المغرور لذريق، لتطوى بذلك صفحة من صفحات الظلم والاستبداد في الأندلس، و يبزغ شعاع فجر جديد استمر نوره لثمانية قرون

وبعد أن تناقل الناس أخبار انتصارات طارق بن زياد بدأت وفود المسلمين تصل تباعًا إلى جيش طارق من بلاد المغرب العربي ، فاجتمع عنده جيش جرار كان القوة الضاربة في أوروبا وحامل نور التوحيد إلى كل بقعة من بقاعها، فاتجه شمالًا في قلب الأندلس، وفتح قرطبة وغرناطة ومالقة والبيرة وغيرها، ووصل إلى طليطلة ففر منها أهلها عندما علموا بقدومه، ولم يبق فيها سوى القليل من السكان، فاستولى طارق عليها، وترك لأهلها كنائسهم، وأعطاهم حرية إقامة شعائرهم، كما هو شأن الإسلام في كل فتوحاته.



عربي ، بربري ، تركي ، كردي وغير ذلك ..

انتماءات مختلفة لقادة عظماء، جعل منهم الإسلام إخوة تحت راية واحدة يجاهدون لأجل أسمى قضية، فلا انتماء يعلو على انتمائنا لأمة الإسلام، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بتقواه وجهاده وتضحياته في سبيل الله.

كُن اِبنَ مَن شِئتَ وَاِكتَسِب أَدَباً
يُغنيكَ مَحمُودُهُ عَنِ النَسَبِ
فَلَيسَ يُغني الحَسيبُ نِسبَتَهُ
بِلا لِسانٍ لَهُ وَلا أَدَبِ
إِنَّ الفَتى مَن يَقولُ ها أَنا ذا
لَيسَ الفَتى مَن يَقولُ كانَ أَبي

محمد بن القاسم الثقفي

هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي، ولد عام ٧٢هـ ، كان أبوه "القاسم بن محمد" واليًا على البصرة بأمر من ابن عمه "الحجاج بن يوسف الثقفي"، والي العراق الشهير الذي جمع بين البطش والظلم من جهة، وحب الجهاد والتوسع في الفتوحات من جهة أخرى.

وهكذا نشأ "محمد بن القاسم" في بيت إمارة وقيادة، وعاش في بيئة جعلت منه قائدًا فذًا قبل أن يبلغ السابعة عشرة من عمره، رأى به الحجاج أمارات البطولة والدهاء، فقربه إليه وأوكل إليه عدة مهام ليختبر قوته وحكمته، فلم تزده نجاحاته إلا رفعة وعلوًا في عين الحجاج، فضمه لقادة الدولة الأموية التي سخّرت كل جهدها وإمكانياتها من أجل الفتوحات الإسلامية، ووصلت راياتها مشارق الأرض ومغاربها تنشر الإسلام والحق والهدى.



محمد بن القاسم الثقفي بطل المهمات الصعبة في بلاد السند

"جزيرة ياقوت" جزيرة بعيدة في بلاد سيلان، كانت مقر تجار مسلمين عاشوا فيها وماتوا وتركوا خلفهم نسوة من أرامل وبنات لم يبق لهن راعٍ، فأراد ملكها التقرب من العرب، فأرسل للحجاج سفينة تحمل على متنها تلك الجماعة من النساء المسلمات الراغبات بالعودة إلى بلادهن مع الكثير من الهدايا للحجاج والخليفة الوليد بن عبد الملك، وعندما وصلت السفينة ميناء "الديبُل" في بلاد السند -باكستان اليوم- عدا عليها مجموعة قراصنة واختطفوا النساء ونهبوا الأموال، فصرخت امرأة منهم وقالت "يا حجاج"، وعندما بلغه ذلك انتفض وقال "يا لبيك" وأرسل رسالة إلى ملك السند "داهر" يسأله الإفراج عن النسوة، فلم يجب داهر طلبه، فسيّر الحجاج حملة عسكرية لتحرير الأسيرات باءت بالفشل، وأتبعها بحملة أخرى لم تتمكن من تحقيق هدفها كذلك، فشعر الحجاج بإهانة كبيرة وعزم على فتح بلاد السند كلها وضمها للدولة الأموية ونشر السلم والإسلام فيها، فاختار لتلك المهمة الصعبة الشاب الفتيّ "محمد بن القاسم الثقفي" وجهز له جيشًا كبيرًا وأعد له أفضل أنواع السلاح والعتاد، وعززه بأسطول بحري ليلتقي به في بلاد السند، وتحرك الجيش عام ٩٠هـ يفتح مدينة تلو أخرى، حتى وصل "الديبُل" -قرب كراتشي اليوم- والتقى بأسطوله في جزيرة صغيرة لا تزال تسمى "جزيرة محمد بن القاسم" إلى يومنا هذا، وضرب حصارًا محكمًا على الديبل لتحرير المسلمات في سجونها، ووزع المنجنيقات على أطرفها، أحدها منجنيق ضخم يسمى "العروس" يحتاج لتشغيله خمسمئة رجل شديد، وبدأ أول ما بدأ بدكّ صنم ضخم تعلوه سارية خشبية عالية تحمل راية حمراء كبيرة يقدسها الهندوس، واستمر برجمه حتى تحطم بشكل كامل، مما قذف الرعب في قلوب عُبّاده أهل الديبل، وتمكن الجيش المسلم من اقتحام المدينة وتحريرها بعد هروب "داهر" منها.



واستمر محمد بن القاسم بفتوحاته دون توقف، ينشر الإسلام ويهدم الأوثان، ويقيم العدل ويتودد للناس بحسن خلقه، فأحبه أهل السند ودخل آلاف منهم الإسلام، وانضموا لجيشه وأضافوا له قوة كبيرة لخبرتهم بتلك البلاد، وتمكن من الوصول لملك السند "داهر" الذي أعد جيشًا ضخمًا ضمّ إليه عددًا كبيرًا من الفيلة، فعبر إليه جيش محمد بن القاسم من خلال نهر مهران، والتحم الجيشان في معركة شديدة شرسة انتهت بنصر المسلمين ووجد فيها "داهر" نهايته، وعندما علمت زوجته بموته أحرقت جواريها وأموالها ونفسها خلفه.
واستمر جيش النور يفتح البلاد بالصلح تارة والحرب أخرى، حتى وصلوا مدينة "المُلتان" أعظم مدن السند وأقواها حصونا -مدينة في باكستان اليوم- ، وكان في المُلتان صنم عظيم يحج إليه الناس من كل أطراف السند ويعظمونه وينذرون له النذور، ويسرق السدنة باسمه أموال الناس بالباطل حيث جمعوا أكوام الذهب في بيت كبير له كوة من الأعلى يرمي الناس فيه نذورهم من خلالها.
فامتنعت المدينة عليه شهورًا وقاتل عنها أهلها بشراسة، حتى عرف محمد بن القاسم مدخل الماء الذي يغذي مدينتهم فقطعه عنهم، فاستسلموا ونزلوا على حكمه.



وفاة محمد بن القاسم الثقفي

عام ٩٦هـ كان محمد بن القاسم يستعد لفتح مملكة "قَنوج" أعظم إمارات الهند، فجاءه خبر وفاة الوليد بن عبد الملك وتولي سليمان بن عبد الملك مكانه وكان على خلاف كبير مع الحجاج، و عَزَل محمد بن القاسم عن قيادة جيوش السند لا لجريمة ارتكبها سوى أنه كان قريب الحجاج، فاستسلم لقرار الخليفة الجديد رغم نصح كثيرين له بالتمرد والاستقلال ببلاد السند، إلا أنه رفض ذلك رغم علمه بالخطر الذي ينتظره، فأسره أمير السند الجديد ومشى به مكبّلًا بالأغلال وبكى أهل السند حزنًا لفراق قائد نشر الرحمة والعدل في بلدانهم، وتم زجه في أحد السجون المظلمة إلى أن مات فيها، وفقدت الأمة الإسلامية قائدًا قلّ نظيره بتصفيات سياسية،وكانت تلك خسارة لا تقدر بثمن.



محمود بن سبكتكين

هو يمين الدولة "محمود بن سبكتكين"، والده ناصر الدين "سبكتكين" صاحب خراسان والهند ومؤسس الدولة الغزنوية.

ولد محمود بن سبكتكين عام ٣٦١هـ، كان ذكيًا ذا حكمة ورأي، تولى حكم الدولة الغزنوية بعد وفاة أبيه، وتم له ذلك بعد صراع مع أخيه الذي تولى الحكم قبله وكان فاسدًا لا يصلح لإدارة الدولة.

كان السلطان محمود يسوس رعيته بالعدل والرحمة، يحارب المعاصي ويمقت أهلها، ويتقرب من العامة بالإحسان إليهم وتأمين حياة كريمة لهم، فعاشوا في عهده استقرارًا وأمانًا ورخاء.

اشتكى إليه أحد العامة يومًا أن ابن أخته يرتكب الفواحش ويعتدي على الأعراض دون أن يجرؤ أحد على مساءلته لقرابته من السلطان، فأقسم أن لا يدخل جوفه قطرة ماء ولا طعام حتى يصل إليه، وأمر بملاحقته ليومين حتى قُبض عليه متلبسًا بالزنى، فقتله في فراشه بعد أن كاد السلطان يهلك عطشًا!!

كان يقرّب منه العلماء والأدباء، وينشر العلم ويحارب الضلال في كل أرض يفتحها، كثير الغزو، صاحب همة في نشر الحق وإعلاء الدين، أسس جيشًا ضخمًا قدّره بعض المؤرخين بمئة ألف جندي، وضم إليه مئات الفيلة.



بدأ بترتيب البيت الداخلي لدولته، فأعلن تبعيته للخليفة العباسي القادر بالله الذي لقّبه "يمين الدولة"، وقضى على بقايا الدولة السامانية التي كانت في أول عهدها دولة خير وصلاح تنشر الدين وتحمي أهله، لكنها في زمن السلطان محمود كانت قد نخرتها المعارك الداخلية ودبّ الفساد والانحراف في ولاتها وصارت مصدر قلق لجيرانها وحجرة عثرة على طريق الفتوحات.

ومن أهم أعماله على الصعيد الداخلي حربه على كافة المذاهب الضالة والفرق المنحرفة، فقضى على القرامطة والإسماعيلية، وكان شديدًا في تعامله مع رسل الدولة الفاطمية فحرّق كتبهم وهداياهم، وأزال كل أثرٍ للجهمية والمعتزلة وعمل على نشر الإسلام الصحيح في كل أرض تحت سلطانه، ووسع حملته خارج حدوده حتى قضى تمامًا على الدولة البويهية التي كان لها دورٌ كبيرٌ في نشر التشيع في بلاد الإسلام، وكانت عاصمتها "أصفهان".

قال فيه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة: "لَمَّا كانت مملكةُ مَحمودِ بنِ سبكتكين من أحسَنِ ممالِكِ بني جِنسِه، كان الإسلامُ والسُّنَّة في مملكَتِه أعَزَّ؛ فإنَّه غزا المُشرِكينَ مِن أهلِ الِهندِ، ونشَرَ مِن العدلِ ما لم ينشُرْه مِثلُه، فكانت السُّنَّةُ في أيامِه ظاهِرةً، والبِدَعُ في أيَّامِه مَقموعةً"



فتوحات محمود بن سبكتكين في الهند

بدأ السلطان محمود حملات متتابعة على أقاليم وممالك الهند، وقضى على ملوكها واحدًا تلو الآخر، وكان من أشد ملوك الهند حقدًا على المسلمين الملك "جيبال" الذي كان أكبرهم سنًا وأشدهم بأسًا وأكثرهم ذكاء وحنكة، وكان قد عاش هزيمة منكرة على يد "سبكتكين" والد محمود، وبقي سنوات يعدّ العدة للانتقام من المسلمين، وبالفعل قاد السلطان محمود حملة على شمال الهند واصطدم بجيبال في معركة "برشور" عام ٣٩٢هـ، وانهزم الهنود رغم تفوق عددهم أمام جيش المسلمين، ووقع جيبال في الأسر، وصارت أمواله وأرضه ملكًا للمسلمين، وكان السلطان محمود على دراية بأحوال أهل الهند وطباعهم، فأطلق سراح جيبال مقابل دية ضخمة، وعاد جيبال إلى قومه ونظرات الازدراء تتبعه، ورأى ما آلت إليه حال بلاده، فحلق رأسه ورمى بنفسه بالنار.

وفي عام ٣٩٨هـ اتحد من بقي من ملوك الهند وجمعوا جيشًا جرارًا لقتال محمود بن سبكتكين، منتهزين فرصة انشغاله في أحد معاركه، فعاد إليهم بمنتهى السرعة وهزمهم عند قلعة "بيهيمنكر" فاستسلم بعدها كل أمراء الهند لسلطان الدولة الغزنوية، ودخل كثير منهم الإسلام في حين بقي آخرون على دينهم ودفعوا له الجزية.



هدم صنم الهندوس الأكبر "سومنات"

عام ٤١٨هـ شَدَّ السلطان محمود حملته لهدم صنم الهندوس الأكبر ويدعى "سومنات"، وكان كلما اقترب بجيشه نحوه ظن الهنود أن سومنات سيوقفه، لكنه كان يمضي فاتحًا بلداتهم وقراهم إلى أن وصل إليه، ووجد أكثر من خمسين ألف رجل يلتفّون حول أسوار المعبد، فيدخل الواحد منهم يسجد للصنم ويعفر وجهه بترابه ويتضرع له ثم يخرج ويقاتل حتى يُقتل، فماتوا عن آخرهم وفر منهم القليل، وعزم السلطان على هدم الصنم، فجاءه رؤساؤهم وعرضوا عليه ملايين الدنانير ليترك إلههم سالمًا، فرد عليهم بقول يدل على إخلاصه لدينه ومبادئه: " إني فكرت في الأمر الذي ذكر، فرأيت إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال: أين محمود الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا؟" فتقدم وحطم الصنم ووجد فيه من الكنوز ما يفوق ما أنفقه في حملته تلك وما عرضوه عليه من أموال أضعافًا مضاعفة!

وفـــاة السلطان محمود بن سبكتكين

توفي محمود بن سبكتكين عام ٤٢١هـ بداء في بطنه، بعد أن قضى حياته مجاهدًا في سبيل الله، وفتح بلادًا تبلغ في مساحتها فتوحات عمر بن الخطاب، وأنشأ دولة قوية تقوم على العقيدة الصحيحة وتحكم بشرع الله، وضم تحت لوائها إيران وما وراء النهر والشمال الهندي كله، وأخضع لسلطان الإسلام السند والبنجاب وحوض الغانج إلى حدود البنغال، رحمه الله وغفر له.



يوسف بن تاشفين

هو أمير المسلمين، السلطان أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني البربري الملثّم، ويعرف أيضا بأمير المرابطين.
أصله من قبائل صنهاجة البربرية، ولد عام ٤٠٠هـ، ونشأ في أسرة ملتزمة في صحراء موريتانيا نشأة إيمانية جهادية، فتربى على الشجاعة والإقدام، والعلم والحكمة، والزهد والتقشف، الأمر الذي مكّنه من الالتحاق بالحركة المرابطية التي أسسها الشيخ "عبد الله بن ياسين" في قلب الصحراء لنشر الدين الصحيح ومحاربة الجهل والضلال، وكانت تلك النواة الأولى لدولة المرابطين.

وفي ٤٥٣هـ بدأ يوسف بن تاشفين فتوحاته وحروبه مع القبائل في الغرب الإفريقي، يحارب الضلال والكفر وينشر الإسلام الصحيح، عُرف بحبه للعلم وأهله، فكان يقرب إليه العلماء والفقهاء ويحكم بين الناس بشرع الله.
وفي عام ٤٧٨هـ تبوأ يوسف بن تاشفين منصب أمير دولة المرابطين وسمى نفسه "أمير المسلمين"، بعد أن أنشأ مدينة مراكش وجعلها عاصمة لدولته، واستطاع مد نفوذه في تونس والجزائر والمغرب والسنغال وموريتانيا، وضم إليه سبتة وطنجة وأصبحت دولته تطل على جنوب الأندلس.



معركة الزلاقة في أرض الأندلس

كان العالم الإسلامي ذلك الوقت تسوده صراعات لا تنتهي، فكانت الخلافة العباسية تعاني الضعف والتفكك بعد عصر طويل من القوة والازدهار، وساد الحكم الفاطمي في مصر، وبدأت الحملات الصليبية تغزو بلاد الشام، وفي تلك الفترة كانت بلاد الأندلس -إسبانيا والبرتغال اليوم- قد تحولت الى دويلات صغيرة يقوم عليها ملوك يتصارعون فيما بينهم على النفوذ والمصالح، ويستعينون بالنصارى لتحقيق مآربهم والكيد لبعضهم، واحتل ملك إسبانيا "ألفونسو السادس" مدينة طليطلة ونقض عهوده مع ملوك الطوائف وضرب عليهم الجزية، وأساء للناس بتخريب ممتلكاتهم وتحويل مساجدهم إلى كنائس .

فاستعان مسلمو الأندلس بيوسف بن تاشفين عام ٤٧٩هـ وطلبوا منه نصرتهم، وبادر ملك أشبيلية "المعتمد بن عباد" إضافة إلى ملك بطليوس وملك غرناطة بمراسلة ابن تاشفين والاستعانة به على حرب ألفونسو، فلبّاهم ابن تاشفين بدافع النصرة لأخوة الإسلام، وجهز جيشه واجتاز البحر ودخل أشبيلية والناس يستقبلونه استقبال الفاتحين، وانتقل إلى بطليوس قرب الزلاقة حيث نزل ألفونسو بجيشه استعداداً للقتال، وبدأ المجاهدون يتوافدون من مدن الأندلس للتطوع في جيش ابن تاشفين حتى فاق عدد جيشه ثلاثين ألفًا، وأخذ الدعاة والقادة دورهم في حث الناس على الصبر والثبات وتذكيرهم بفضل الجهاد والشهادة في سبيل الله.

حاول ألفونسو خديعة يوسف بن تاشفين، وحدد له يوم الإثنين لبدء المعركة في الزلاقة، لكنه نقض وعده وغدر به وتقدم يوم الجمعة صباحًا لقتال جيش المسلمين قبل الموعد المحدد، معتمدًا على جيش قدّره بعض المؤرخين بثلاثمئة ألف مقاتل، يرفعون الصلبان وصور المسيح ويتوعدون المسلمين بالهلاك.

تفاجأ ألفونسو بجيش المعتمد بن عباد ينتظره باستعداد كامل بعد أن توقع غدره، حيث اصطف جيش المعتمد بن عباد في المقدمة، وفي الخلف فرقة لجيش المرابطين، وبقي جيش يوسف بن تاشفين خلف جبل عالٍ لتنفيذ خطة تدمر جيش ألفونسو.
تصدى جيش المعتمد بن عباد للهجمة الأولى، وصمد صمودًا طويلًا يقاتل بثبات أمام جيش ألفونسو الذي كان يتدفق كالنهر، حتى إذا كاد جيش المعتمد ينهار تدخلت فرقة المرابطين وساندته وأعملت القتل في جيش النصارى الذي أتعبه طول القتال، وصمدوا وثبتوا حتى بدأت بوادر الهزيمة تلوح لهم مرة أخرى، فتدخل يوسف بن تاشفين بجيشه بعد أن حرّق معسكرات ألفونسو ودمر الوحدات التي تركها خلفه، وبدأ يضرب بيد من حديد على جيش أنهكه التعب، وأمر فرقة من أربعة آلاف مقاتل شديد باقتحام قلب جيش العدو في عملية خاصة، فاقتحموا صفوفهم وزلزلوا كيانهم حتى وصلوا إلى ألفونسو وطعنوه في فخذه، واستمر المسلمون بالقتال صفًا كالبنيان حتى أفنوهم عن آخرهم، ولم ينج من جند ألفونسو إلا قرابة خمسمئة مقاتل، فروا مثخنين بالجراح يتساقطون واحدًا تلو الآخر فلم يدخل طليطلة مع ألفونسو إلا أقل من مئة!!
كان لموقعة الزلاقة أثر كبير في تاريخ الأندلس، أعادت للأذهان انتصارات المسلمين الكبرى في اليرموك والقادسية، ومدّت عمر الإسلام في الأندلس أربعة قرون أخرى، وغنم فيها المسلمون غنائم كثيرة زهد بها يوسف بن تاشفين ووزعها على أهل الأندلس وعاد لأرضه بعد انتصار عظيم وقد بلغ عمره ٧٩ عامًا!



انضمام الأندلس إلى دولة المرابطين

لم تتوقف مضايقات النصارى لملوك الطوائف ودولهم، فاستعان ابن عباد من جديد بدولة المرابطين بعد ثلاث سنوات، فعاد ابن تاشفين لقتال النصارى وقتال ملوك الطوائف أيضاً هذه المرة، بعد أن ساءه تمزقهم وتفرقهم وكيدهم لبعضهم، ورأى بذخهم وإسرافهم مقابل ما يفرضون من ضرائب على شعوبهم. فأخذ الإذن من خليفة الدولة العباسية بأن يكون واليًا على المغرب والأندلس ليتحرك بصفة شرعية لمحاربة ملوك الطوائف، وبدأ معاركه بصفته الوالي الشرعي في الأندلس يحرر المدن والبلدات من حكم النصارى المفسدين وحكم ملوك الطوائف الظالمين .

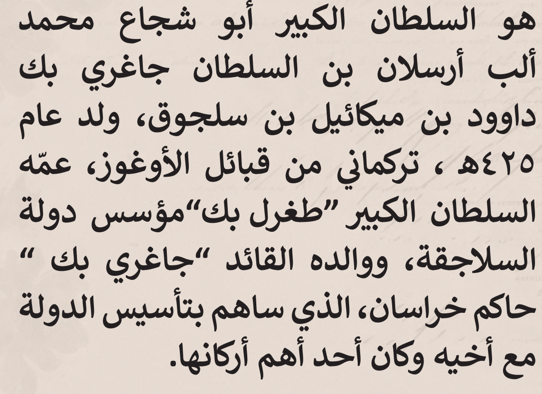
وفي عام ٤٩٥هـ صارت الأندلس تابعة لمملكة المرابطين، التي امتدت من شمال الأندلس قرب فرنسا شمالًا حتى وسط إفريقيا جنوبًا، وكانت من أقوى دول العالم ذلك الزمان.

وفاة يوسف بن تاشفين

تُوُفِّيَ يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ عن عمر يقارب المائة عام، كان أحد عظماء المغاربة الذين جددوا للأمة أمر دينها، عاش حياته فاتحًا مجاهدًا زاهداً، ورغم ذلك لم يأخذ حقه من الاهتمام التاريخي كغيره من الفاتحين. رحمه الله وغفر له .



ألب أرسلان



هو السلطان الكبير أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن السلطان جاغري بك داوود بن ميكائيل بن سلجوق، ولد عام ٤٢٥هـ ، تركماني من قبائل الأوغوز، عمّه السلطان الكبير "طغرل بك"مؤسس دولة السلاجقة، ووالده القائد "جاغري بك " حاكم خراسان، الذي ساهم بتأسيس الدولة مع أخيه وكان أحد أهم أركانها.

نجح السلاجقة بتأسيس دولتهم في خراسان وبلاد ما وراء النهر -تشمل خراسان أجزاء من إيران وأفغانستان وتركمانستان اليوم وتشمل بلاد ما وراء النهر أوزبكستان وأجزاء من كازاخستان وقرغيزستان- وتوسعوا في إيران والعراق واعترفوا بتبعيتهم للدولة العباسية رغم أنهم كانوا هم القوة الأعظم في المنطقة ولم يكن للخلافة العباسية في تلك الفترة قوة تذكر.

نشأ ألب أرسلان في قبائل من البدو الرحل، فاكتسب من قسوة حياته القوة والشدة وحمل المسؤولية، وشبّ على الشجاعة والفروسية، وكانت له صولات وجولات في الفتوحات والمعارك التي خاضها الملك طغرل بك بعد أن رأى فيه الحنكة والشجاعة، وتولى حكم خراسان بعد وفاة أبيه، فاكتسب من خبرات القيادة ما يؤهله ليكون حاكم خير وصلاح.

ألب أرسلان سلطان دولة السلاجقة

عام ٤٥٥هـ توفي طغرل بك دون أن يترك ولدًا يرث الحكم، فتولى ألب أرسلان حكم الدولة السلجوقية بعد معارك مع أمراء البيت الحاكم الذين لم يكونوا مؤهلين للحكم، وتم له ذلك بدعم من وزيره النبيه "نظام الملك" الذي عُرف بحكمته وغزارة علمه وشخصيته القيادية الفذّة، وكان له دور بارز في كل نجاح حققه ألب أرسلان خلال فترة ولايته، ومن أهم أعمال نظام الملك إنشاء المدارس النظامية لتكون محاضن تربوية لتخريج العلماء والدعاة والأبطال الذين يفتحون البلاد بقوة الإيمان ونور العلم، واستقطاب الفقهاء والمحدثين وإكرامهم وإفساح المجال لهم لينشروا العلم بين الناس، وكان من أبرز العلماء الذين استجابوا لنظام الملك حجة الإسلام "أبو حامد الغزالي" .

حكم السلطان ألب أرسلان دولته بالعدل والرحمة، ينجد الضعيف ويعين المحتاج، كان تقيًا كثير الدعاء كثير الصدقات، محبًا للجهاد في سبيل الله متلهفًا لنشر الإسلام في المدن النصرانية المجاورة له، فسخّر جهده وماله ودولته من أجل هذا الهدف العظيم لتكون كلمة الله هي العليا في كل أرض تصلها خيول المسلمين.

وبعد سنوات من العمل والجهاد استطاع ألب أرسلان أن يعيد الاستقرار إلى كل أطراف دولته، وحرر حلب والقدس وأجزاء من بلاد الشام من يد الدولة الفاطمية، ووجه أنظاره إلى الحرب مع الروم.



معركة ملاذ كرد

قام ألب أرسلان بحملة كبيرة في المناطق النصرانية المجاورة لدولته، فضم إليه جورجيا ووصل أذربيجان وبلاد الكُرج والمناطق المطلة على الدولة البيزنطية، وانفصل قسم من جيشه بقيادة ابنه "ملكشاه" للهجوم على أرمينية، وتمكنوا من تحرير نيكسار وقونية ومدنًا كثيرة أخرى مما دفع إمبراطور بيزنطة للتحرك



عام ٤٦٣هـ خرج إمبراطور الروم "رومانوس ديوجينس" بجيش ضخم قدّره بعض المؤرخين بثلاثمئة ألف جندي، وعندما علم ألب أرسلان باقتراب جيش الروم كان في قلّة من جنده بعد أن توزع جيشه في مناطق عدة، ولم يكن معه إلا قرابة خمسة عشر ألف مجاهد فقط، ولم يكن لديه وقت كافٍ لاستدعاء الجند من مناطق مجاورة، فقال قولته المشهورة:

(أنا أحتسب عند الله نفسي، وإن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل النسور الغبر رمسي، وإن نُصرت فما أسعدني وأنا أُمسي ويومي خير من أَمسي)

وقام بهجمة أولية شرسة على مقدمة جيش الروم في محاولة لقذف الرعب في قلوبهم، حقق بها انتصارًا كبيرًا وتمكن من أسر عدد من قادتهم.

بعد تلك الهجمة أرسل ألب أرسلان وفدًا يعرض الصلح على الإمبراطور، لكنه أبى واستكبر، فغضب السلطان غضبًا شديدًا، فقال له إمامه "محمد بن عبد الملك البخاري" : (إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقَهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين)

وحان وقت صلاة الجمعة فصلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع، وخيّر كل جندي بين البقاء للحرب أو الانسحاب قبل المعركة بعد أن شحذ الهمم للجهاد في سبيل الله، فاختاروا الثبات معه حتى النصر أو الشهادة، فبادر ولبس كفنه وتحنط استعدادًا للموت، ثم كبّر وحمل على الأعداء بعد أن أعدّ لهم كمينًا محكمًا وجدوا أنفسهم فيه محاصرين بين جنود كالأسُود، فزلزل الله عدوه وقذف الرعب في قلوبهم، وتحدث مؤرخون عن خيانات في صفوف الروم، فقُتل منهم أعدادًا هائلة، وجاء الإمبراطور "رومانوس" مكبّلًا بالأصفاد وقد أسره أحد غلمان المسلمين وجلس بين يدي ألب أرسلان صاغرًا ذليلًا.

قبل ألب أرسلان بتركه حرًا بعد أن وعد بدفع مليون وخمسمئة ألف دينار فداءً لنفسه، ووعد بإطلاق كل أسير في بلاده، وقفل عائدًا إلى قصره يجر ذيول الهزيمة والخيبة، فوجدهم قد ملّكوا مكانه ملكًا غيره، ونفاه الإمبراطور الجديد بعد أن عذبوه وسملوا عينيه وتركوه إلى أن مات موتًا بطيئًا متأثرًا بجراحه.

توسعت مساحة الدولة السلجوقية بأكثر من أربعمئة ألف كيلومتر، وعقد البيزنطيون صلحًا مع السلاجقة مدته خمسون عامًا، واعترفوا بالمساحات التي انضمت لدولة السلاجقة وتعهدوا بعدم الاعتداء عليها.

تعتبر معركة ملاذكرد من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، ومن أكبر النكسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ولم يكن هذا الانتصار عسكريًا فقط، بل كان نصرًا دعويًا إذ دخلت قبائل الأتراك إلى آسيا الصغرى وأدخلوا معهم نور الإسلام وعلّموا الناس الدين العظيم ومبادئه وتشريعاته

استشهاد البطل ألب ارسلان

عام ٤٦٥هـ بعد أقل من عامين من معركة ملاذكرد قُتل البطل ألب أرسلان على يد أحد الثائرين عليه بعد مسيرة عامرة بالجهاد والبطولة، رحمه الله وغفر له.



صلاح الدين الأيوبي

هو الملك الناصر "يوسف" الملقب بصلاح الدين الأيوبي، مؤسس الدولة الأيوبية، ابن القائد "نجم الدين أيوب" قائد قلعة تكريت -في العراق- حيث ولد صلاح الدين عام ٥٣٢هـ.
نشأ صلاح الدين نشأة مباركة في بيت قيادة وحكم، عاش فترة من حياته في الموصل قرب عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية، وتنقل مع أسرته بين دمشق وبعلبك، وتعلم علوم القرآن الكريم والفقه والحديث، وتدرب على السلاح والفروسية، وجالس الأمراء والقادة، فأخذ منهم علو الهمة وحسن الإدارة وسمو الغايات.

بعد مقتل عماد الدين زنكي تولى ابنه الملك العادل "نور الدين محمود زنكي" إمارة حلب، وكان قد أدرك قدرات صلاح الدين الأيوبي العسكرية، فقربه إليه، وفتح له المجال ليتولى المهمات الصعبة التي تزيد من خبرته وتصقل شخصيته.

كانت الأمة الإسلامية في تلك الأيام تئن تحت وطأة الحملات الصليبية، وترافق ذلك مع تمزق الدولة العباسية الى دويلات متفرقة، وسيطرة الدولة الفاطمية على مصر والحجاز وأجزاء من بلاد الشام ونشر التشيع في كل مكان يصل إليه ظلها، لكنها كانت في طور انحدارها وتعدّ أيامها الأخيرة.

وكان "نور الدين محمود" قائد خير وتقوى وصلاح، حكم بالعدل ونشرَ العلم، نصر السنة وحارب البدع، وقضى على وجود الرافضة في المدن التي كانت تحت سيطرته، ووجه كل اهتمامه لهدفين: إسقاط الدولة الفاطمية في مصر التي كانت تنشر الضلال وتمنح الصليبيين البلاد على طبق من ذهب، وطرد الصليبيين من الدول الإسلامية وتحرير القدس والمسجد الأقصى من قبضتهم.
فحارب الصليبيين ودكّ حصونهم وضم إليه دمشق والرها ومدن كثيرة أخرى، ليتمكن من فتح الطريق لجيوشه للوصول إلى مصر والقضاء على الدولة الفاطمية، وأرسل إلى مصر العلماء والدعاة لتهيئة الناس لفتح سُنّي جديد.
ولعل أهم الأمور التي اكتسبها صلاح الدين الأيوبي من نور الدين محمود التزامه الديني وغيرته على الإسلام وحمله هموم الأمة بإخلاص وتفانٍ قلّ نظيره، وأكمل مسيرة حياته يحمل ذات الأهداف التي رسمها نور الدين، وسار على خارطة الطريق ذاتها.

القضاء على الدولة الفاطمية

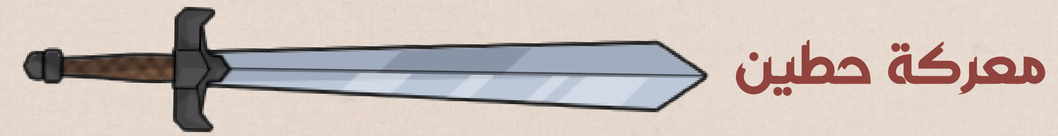


لاحظ نور الدين محمود حدوث اضطرابات شديدة في مصر داخل الدولة الفاطمية رأى فيها أملًا للقضاء على الفاطميين، فأرسل جيشًا بقيادة البطل "أسد الدين شيركوه" عمّ القائد صلاح الدين، وأرسل معه صلاح الدين لمرافقته، فاكتسب من عمه مهارات كثيرة في العسكرة والتخطيط الحربي في معارك خاضها في مصر، إلى أن تمكن أسد الدين من التقرب من الخليفة الفاطمي، فعيّنه وزيراً في دولته، وتوفي شيركوه بعد شهرين فقط من تولّيه منصب الوزارة، فحلّ مكانه صلاح الدين الأيوبي، وكانت تلك خطوته الأولى للقضاء على الفاطميين، حيث اغتنم فرصة مرض الخليفة الفاطمي، ووجود صراعات شديدة بين قادة الدولة، فأمر بأن يُدعى للخليفة العباسي في المساجد، وألغى نداء "حي على خير العمل" من الأذان بهدف محو الهوية الفاطمية عن مصر وإعادتها للإسلام السُني الصحيح، وبدأ حملاته في القضاء على المتمردين ومثيري الفتن فور وفاة الخليفة الفاطمي، حتى تمكن من القضاء تمامًا على دولة الظلام الفاطمية عام ٥٦٧هـ بعد حكم جائر دام أكثر من مئتي سنة!!

بزوغ فجر الدولة الأيوبية

توفي "نور الدين محمود" وآل الأمر إلى صلاح الدين الأيوبي الذي وحد بلاد الشام ومصر تحت زعامته بعد معارك استمرت عشر سنوات، وأسس الدولة الأيوبية وأعلن تبعيته للخلافة العباسية، واتخذ من "القاضي الفاضل" وزيرًا له، وكان رجل علم أعطاه الله فقهًا غزيرًا ولسانًا فصيحًا وفطنة وحكمة جعلته المستشار الأول لصلاح الدين، ينصحه عند الأزمات ويذكّره وجندَه بتقوى الله والبعد عن المحرمات ليظفروا بمعية الله ونصره، قال فيه صلاح الدين الأيوبي: "لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل"

وبعد أن استقرت جبهته الداخلية حرك جيوشه من أجل طرد الصليبيين من بلاد الإسلام والتخطيط لتحرير القدس، فانتصر عليهم في بانياس، ومرج العيون، وصفد، واستمر يدك حصونهم بلدة تلو أخرى إلى أن وصل حطين واجتمع له فيها جيش عرمرم.



معركة حطين

في عام ٥٨٢هـ اعتدى قائد صليبي حاقد اسمه "أرناط " على قافلة تجارية في الكرك وكان حاكمًا عليها، مخالفًا بذلك معاهدته مع صلاح الدين الأيوبي، وقال للأسرى بكِبر وحقد: (إن كنتم تعتقدون بمحمد فادعوه الآن يفك أسركم، ويخلصكم من شر ما وقعتم فيه)، فعزم صلاح الدين على قتله لجرأته على رسول الله ﷺ وانتهاك حرمات المسلمين وخطط لتحرير البلاد من شره وشر أهل مِلّته .
فأيقن الصليبيون خطره على مصالحهم، فاجتمعوا وحشدوا جيوشهم وتوجهوا إلى حطين عام ٥٨٣هـ، ووجدوا جيش صلاح الدين بانتظارهم وقد أحاط بمنابع الماء ووقف سدًا منيعًا بين جيش الصليبيين وبحيرة طبرية، وبدأت المعركة بين الطرفين، وأمر صلاح الدين بالتكبير بعد أن أحيا في قلوب جنده معاني الإخلاص لله تعالى وحب الجهاد والشهادة في سبيله، واستبد العطش بجيش الصليبيين في الحر وخارت قواهم، فقُتل منهم ذلك اليوم آلاف الجند، وأُسر آلاف آخرون وفيهم القادة والأمراء.

وجلس صلاح الدين في خيمته ليحكم في الأسرى، فقتل منهم كل من ينتمي إلى قوات "الاسبتارية" الصليبية، وجيء بالملك والأمراء بين يديه، حتى رأى "أرناط" بينهم فقام إليه بالسيف وقال له: "أنا أنوب عن رسول الله ﷺ في الانتصار لأمته" ودعاه إلى الإسلام فأبى، فقتله ووضع رأسه أمام الملك.

فتح بيت المقدس

بعد انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين، قام بتحرير كثير من مدن فلسطين، حتى وصل مدينة بيت المقدس وحاصرها حصارًا محكمًا، فامتنع الصليبيون عن تسليمها، فأعلن بدء القتال ورأى منه الصليبيون شدة وشراسة وعزيمة لا تلين فاضطروا إلى الصلح، ودخل الفاتحون المسجد الأقصى المبارك وقاموا بتنظيفه من الصلبان والخنازير، ودمروا الدور التي أقيمت داخله للرهبان والتنظيمات الصليبية، وعاد المسجد الأقصى المبارك إلى حضن الأمة الإسلامية بعد ٩٢ عامًا من الاحتلال الصليبي، تم ذلك عندما رُزقت الأمة بقادة خير وصلاح، فقهوا أولويات الإصلاح، وأتقنوا رسم خارطة الطريق.. فوصلوا إلى هدفهم المنشود

وفاة صلاح الدين الأيوبي

توفي صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩هـ وعمره ٥٩ عامًا، مات راضيًا متهلل الوجه وهو يسمع آيات القرآن الكريم، عرفه أعداؤه بقوته وعفوه ورحمته وسطّروا في ذلك المؤلفات والكتب، وعرفه شعبه بإحسانه وتقواه، واهتمامه بالعلم وأهله، وعرفته أمة الإسلام محررًا للقدس ناصرًا للدين رافعًا لرايته وقاهرًا لأعدائه.. رحمه الله وغفر له.



سيف الدين قطز

هو السلطان المظفر سيف الدين قطز أحد ملوك دولة المماليك في مصر، اسمه الأصلي "محمود بن ممدود" ولد في بيت ملكي، فخاله ملك الخوازميين" جلال الدين الخوارزمي"، استرقّه التتار في حروبهم مع الخوارزميين وأطلقوا عليه اسم "قطز" وباعوه في سوق العبيد، وانتقل من سيد لآخر حتى وصل إلى الملك "المُعزّ عز الدين أيبك" فضمه إلى المماليك الذين يربيهم تحت إشرافه ليكونوا رجال دولته، فتلقى قطز تربية إيمانية جعلته محبًّا للدين معظّمًا له، وتم تدريبه على الفروسية وحمل السلاح، وأثبت مع الأيام شجاعته وكفاءته مما جعله أحد أهم قادة عز الدين أيبك، فعيّنه ليكون نائبًا للسلطنة.

وبعد مقتل عز الدين أيبك عام ٦٥٥هـ ومقتل زوجته شجرة الدر، تولى الحكم ابنه "علي بن أيبك" وعمره لا يزيد عن ١١ سنة، فتولى قطز الولاية عليه، غير أن ولاية الفتى الصغير أحدثت اضطرابات كثيرة في الدولة، خاصة من قبل بقية المماليك الطامعين بالحكم، فحاولوا القيام بثورة تسقط السلطان الصغير، فاضطر قطز إلى قمع هذه الثورات ليعود الأمان إلى أركان دولةٍ عاشت أعوامًا طويلة من الاضطرابات وكان السباق إلى كرسي الحكم فيها شغل القادة الشاغل، وواجه قطز تهديد جيرانه الأيوبيين الطامعين بملك مصر، ومنع تقدمهم بكفاءة عالية.



سيف الدين قطز سلطان دولة المماليك في مصر



بدأت رسل التتار تصل مصر تباعًا تحمل تهديدات باجتياحها، وذلك بعد أن دخلوا بغداد وقتلوا الخليفة العباسي وسفكوا دماء مئات الآلاف من أهلها، ودخلوا بلاد الشام بالذبح والنهب، عدا عن كون قطز قد ذاق مرارة الأسر على يد التتار وعاش سقوط دولة الخوارزميين ومقتل أهله بسيف التتار الذي لا يرحم.
نظر المظفر قطز حوله فرأى سلطانًا صغيرًا يلهو بالديوك والحمير، ومماليك طامعين يحاولون تمكين سلطتهم في الدولة، فعزم على الإطاحة بالسلطان الصغير "علي بن أيبك" بعد فتوى من أهل العلم، وأعلن نفسه سلطانًا لمصر عام ٦٥٧هـ.

بدأ السلطان قطز بالتجهيز لمواجهة التتار، فقرّب إليه أهل العلم ليستنير برأيهم، وكان من أبرزهم سلطان العلماء "العز بن عبد السلام"، وأوكل إليهم مهمة بثّ روح الجهاد في الشعب، وعمل على تقوية علاقاته ببقية الأمراء والمماليك واسترضائهم لتوحيد الصفوف، وعقد مجلس حرب حضره القادة والعلماء، فاقترح أحد القادة أخذ ضرائب من الشعب لتجهيز الجيش، فاشترط الشيخ "العز بن عبد السلام" على الأمراء ورجال الدولة بيع كل ممتلكاتهم الثمينة أولًا حتى يتساوى الأمراء مع العامة في أموالهم، ولا يبقى للواحد منهم إلا فرسه وسلاحه، بعدها يمكنهم فرض ضريبة على الناس، فبدأ سيف الدين قطز بتنفيذ أمر شيخه على نفسه أولًا، وفرض على بقية الأمراء تنفيذ الأمر بالإجبار، وتم الاتفاق على قتل رسل التتار وتعليقهم على أبواب القاهرة.

معركة عين جالوت

رأى المظفر قطز أن يبادر التتار بالحرب قبل أن يدخلوا مصر، فسار بجيش كبير إلى بلاد الشام، ووصلوا عين جالوت -بلدة في فلسطين- في رمضان عام ٦٥٨هـ

كان المظفر قطز يعلم تفوق عدد جيشه على جيش التتار خاصة بعد توافد الناس من كل مكان للتطوع معه، فأخفى جيشه خلف التلال وبدأ المعركة بفرقة المقدمة فقط بقيادة القائد "ركن الدين بيبرس"، مقابل جيش التتار وقائدهم "كتبغا"
وقع كتبغا في الفخ، ودخل بكامل قواته إلى المعركة، وبدأ جيشه ينتصر على قوات بيبرس، فدفع قطز بكامل جيشه الكبير وأحاطوا بالتتار من كل جانب، وبدأ المسلمون بضرب أعناق التتار بقوة، وسيف الدين يتحرك بين الجند ويدعوهم للثبات ويذكّرهم بالجنة.
يُذكر أن أحد التتار أصاب فرس قطز فقتله، فبدأ قطز يقاتل راجلًا ورفض أخذ خيل أحد الأمراء بعد أن آثره به، واستمر يقاتل حتى جاؤوه بخيل من الاحتياط، فلما عوتب في تفريطه بحياته مما قد يعود على الإسلام بالضرر قال: "أمَّا أنا فكنت أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله ربٌّ لا يضيعه، قد قُتل فلان وفلان وفلان -حتى عدَّ خلقًا من الملوك- فأقام للإسلام مَن يحفظه غيرهم، ولم يُضيع الإسلام".

وتمت هزيمة التتار لأول مرة أمام جند المسلمين، وانسحبوا إلى بيسان وأعادوا ترتيب صفوفهم، وتبعهم جيش قطز مرة أخرى، واحتدم الجيشان في معركة أخرى يقال أنها أشد شراسة من الأولى، وزُلزل المؤمنون فيها زلزالًا شديدًا، فوقف المظفر قطز ورمى خوذته وصاح بأعلى صوته "وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه، اللهم انصر عبدك قطز على التتار" مما أشعل الحماس في قلوب جنده فحملوا حملة واحدة حتى انكسر التتار مرة أخرى، فنزل قطز وسجد لله شكرًا وصلى ركعتين والجند يجمعون الغنائم.

واستمر ركن الدين بيبرس يلاحق التتار حتى وصل حلب وحررها من بطشهم، وسمع التتار في دمشق أخبار هزائمهم فهربوا منها ولحق بهم أهل دمشق يقتلون جندهم ويحررون أسراهم ويستخلصون أموالهم، وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان الخزي على التتار وكل من والاهم من أعداء الدين.

في الثلاثين من رمضان وصل المظفر قطز دمشق، واستقبله الناس استقبال الفاتحين، واستمرت جيوشه بتطهير مدن الشام من التتار، وبدأ يعيد ترتيب الدولة في بلاد الشام فيعزل الخونة ويحاسب الفاسدين ويعيّن الأكفاء من قادة وقضاة، وعاد السلام إلى بلاد الشام بعد شدة وبؤس ومجازر لم يعرف المسلمون مثلها قطّ.

مقتل سيف الدين المظفر قطز

لم يكمل المظفر قطز عامًا واحدًا في الحكم حتى تم اغتياله على يد القائد بيبرس بعد خلافات على ولاية حلب، انتهت مهمته مبكرًا وكأن الله قد هيأه ليكون بطل هذه المرحلة وينتقل بعدها إلى رحمة الله

يروى أن سيف الدين قطز رأى رسول الله ﷺ في نومه فبشره بمُلك مصر وهزيمة التتار، وكان لا يزال حينها عبدًا صغيرًا يباع ويشترى، فعاش يحمل البشرى بين عينيه محبًّا لرسول الله ودين الله، ونذر حياته لهدف عظيم، ومات بعد أن حقق حلمه، رحمه الله وغفر له.



محمد الفاتح

هو السلطان العثماني الكبير "محمد الثاني" بن السلطان "مراد الثاني"، ولد عام ٨٣٣هـ في مدينة أدرنة التركية، يلقب "الفاتح" أو "أبو الخيرات".

اهتم والده بتربيته تربية قيادية، وأوكل مهمة الإشراف عليه إلى علماء ربانيين منهم الشيخ "أحمد الكوراني" والشيخ "آق شمس الدين" الذي استطاع التأثير بقوة على شخصية محمد الفاتح، فحبب إليه الجهاد في سبيل الله، واستغل كل فرصة لتحفيزه ليكون هو الأمير المقصود بحديث رسول الله ﷺ: (لَتفتحنّ القسطنطينية، فَلَنِعم الأمير أميرها، ولَنِعم الجيش ذلك الجيش)

تدرب على الفروسية وحمل السلاح، وحفظ القرآن، وتعلم الحديث والفقه، ودرس الرياضيات والفلك، وقرأ في التاريخ وأتقن عدة لغات، مما منحه عقلًا راجحًا واطلاعًا واسعًا.



محمد الفاتح سلطان الدولة العثمانية

تولى محمد الفاتح حكم الدولة العثمانية بعد وفاة أبيه وهو بعمر ٢٢ عامًا، وتميز بشخصيته التي تجمع بين القوة والعدل، وقام بإعادة تنظيم إدارات الدولة، وبنى مئات المساجد التي لا زالت شامخة إلى يومنا هذا، وشيّد عشرات المدارس والمعاهد، وبدأ بتنظيم كتائب الجيش وتجهيزه استعدادًا لاستكمال الفتوحات التي كانت شغل الدولة العثمانية الشاغل ذلك الزمن، ومن أجل تحقيق الهدف العظيم الذي يسعى إليه .. فتح القسطنطينية.

فتح القسطنطينية - مدينة إسطنبول -

دفعت بشارة رسول الله ﷺ عدة خلفاء مسلمين للسباق من أجل الاستحواذ على شرف فتح القسطنطينية، لكن كل تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح.
فبدأ محمد الفاتح بإعداد جيشه لفتحها، فجهز جيشًا من ربع مليون مجاهد، وغرس فيهم روح الجهاد وحب السعي ليكونوا هم ذلك الجيش الذي حظي بإطراء رسول الله ﷺ ومديحه.

وقام ببناء قلعة "روملي حصار" على مضيق البوسفور للتحكم بمرور السفن من وإلى القسطنطينية من مدخل البوسفور، وشيّد المدافع اللازمة لضرب أسوار المدينة الضخمة، وكان أهم أسلحته المدفع العثماني العملاق الذي يزن مئات الأطنان ويحتاج لمئات الثيران لتحريكه، وجهز أسطولًا ضخمًا يكفي لحصار مدينة محاطة بالماء من ثلاث جهات مما جعلها من أفضل مدن العالم تحصينًا.

عام ٨٥٧هـ وصل جند الإسلام إلى محيط القسطنطينية يقودهم السلطان الكبير محمد الفاتح، فوزع جيشه أمام الأسوار الخارجية، وانتشرت السفن العثمانية في المياه المحيطة بالمدينة، عدا منطقة مهمة جدًا اسمها "القرن الذهبي" والتي كانت محمية بسلاسل حديدية ضخمة منعت سفن العثمانيين من التقدم داخلها وأبقتهم في مرمى نيران عدوهم، وبدأت المدفعية تدك الحصون محدثة صوتًا مزلزلًا نظرًا لكثافة المدافع وضخامة القذائف، وفشلت كل المفاوضات بين محمد الفاتح و القائد البيزنطي "قسطنطين" لتسليم المدينة صلحًا، واستمرت الحرب لعدة أيام ارتقى فيها آلاف المسلمين شهداء أمام الأسوار في محاولات كثيرة لاختراق الحصن، وسقط فيها قتلى من الصليبيين بأعداد ضخمة، وكانت المعركة شرسة بين طرفين أشداء كل منهما يراهن على صبر خصمه، ولم تتوقف خطط محمد الفاتح لاقتحام الحصن، لكن الهزائم كانت تلحق بجيشه مع كل محاولة جديدة .

الخطة التي أثارت دهشة العالم

لاحت للسلطان فكرة غريبة، بأن يقوم بنقل أسطوله برًا من مدخل مضيق البوسفور إلى داخل القرن الذهبي ليتجاوز السلسلة الحديدية، مما يتطلب أن تسير السفن لثلاثة أميال على أرض غير ممهدة مليئة بالتلال، فأمر السلطان بتمهيد الأرض في ساعات قليلة، وأتى بألواح من الخشب مدهونة بالزيت والشحم وتم رصف الأرض بها على كامل المسار، وبدأت عملية جر السفن على البرّ بمشقة بالغة، وتمكنوا في ليلة واحدة من سحب أكثر من سبعين سفينة وإنزالها داخل القرن الذهبي على غفلة من العدو، الذي فوجئ صباح اليوم التالي برايات الأسطول العثماني داخل القرن الذهبي دون حاجز، مما أثار دهشتهم وقذف الرعب في قلوبهم، وحاول قسطنطين تدمير ذلك الأسطول لكنه عجز عن ذلك.

واستمرت المدفعية تدك حصون المدينة بلا هوادة، وحاول آلاف الجند تسلق الأسوار بالسلالم ولكنهم سقطوا شهداء لقوة الدفاع على الأسوار، وبنى محمد الفاتح قلعة متحركة من ثلاث أدوار مطلية بمواد غير قابلة للاشتعال، وتقدمت القلعة المليئة بالجند إلى أسوار المدينة بهدف اقتحامها لكنها تدمرت تحت ضربات المدافعين ومات من فيها، وحفر المسلمون الأنفاق إلى داخل الحصن، وقُتل منهم أعداد كبيرة خنقًا وحرقًا داخل الأنفاق بعد اكتشاف أمرهم، لكن كثافة وتنوع طرق الاقتحام سبب الفزع والذعر في قلوب البيزنطيين، وصاروا يركضون يمينًا وشمالًا يسدون الثغور التي تفتحها القذائف من كل اتجاه، ويدافعون عن الأسوار ويُسقطون السلالم التي تُنصب كل لحظة، ويبحثون عن أنفاق تحت الأرض حتى طاشت عقولهم وخارت قواهم.



استمر الحصار خمساً وخمسين يوماً، ولم تتوقف مفاوضات تسليم المدينة، لكن تعنُّت قسطنطين دفع محمد الفاتح إلى شن هجمات مكثفة برًا وبحرًا من كل الاتجاهات، وكان الضحايا يسقطون بأعداد كبيرة من الطرفين، واستمرت المدافع بالعمل حتى أن المدفع العثماني الضخم انفجر من كثرة الاستخدام وقتل من كان حوله من المشغلين والخبراء، وبدأت أفواج الكتائب تهاجم دفعة تلو أخرى، حتى أتى فوج الانكشارية العثمانية بقيادة محمد الفاتح وتمكن من الوصول إلى الأسوار والصعود لأعلاها بالسلالم، وتزامن هذا مع صعود فرقة أخرى إلى بعض أبراج الحصن ورفعوا عليها رايات النصر، مما قذف الرعب في قلوب العدو واضطر قسطنطين إلى تبديل ملابسه والتنكر بزي جندي عادي ونزل ساحة المعركة وقاتل حتى قتل، مما حطم معنويات جنده، في حين ارتفعت معنويات المجاهدين وارتفعت حماستهم وتمكنوا من الاستيلاء على المدينة وملأت تكبيرات النصر سماء القسطنطينية، وكان فرح المسلمين بتحقيقهم بشرى رسول الله ﷺ واختصاصهم بمديحه أعظم من فرحتهم بذلك الفتح العظيم، وأمر محمد الفاتح أن يؤذّن في كنيسة آيا صوفيا إيذانًا بتحويلها إلى مسجد، وتم تغيير اسم المدينة إلى إسلام بول (إستنبول) أي مدينة الإسلام، ولا زالت كتب التاريخ تحدثنا عن عدالة محمد الفاتح في تعامله مع النصارى من أهل المدينة، ومنْحهم حقوقهم وحرية ممارسة شعائرهم الدينية، وشهد له أهلها برحمته وعدالته.

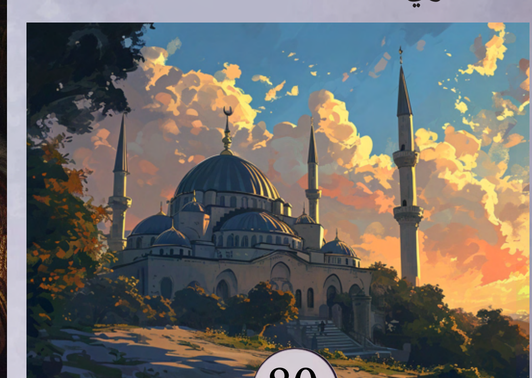
وفاة السلطان محمد الفاتح

حكم محمد الفاتح نحو ثلاثين عامًا، قضى تمامًا على الإمبراطورية البيزنطية، ووحد ممالك الأناضول وفتح آسيا الصغرى وبلاد اليونان والقرم ومعظم شبه جزيرة البلقان، وبلغت فتوحاته إيطاليا، لكن مسيرته توقفت عام ٨٨٦هـ بعد أن أصابته وعكة صحية شديدة وهو على رأس أحد جيوشه في طريقه للجهاد والفتوحات، في حين تحدث مؤرخون عن وفاته مسمومًا بسم دسه أعداؤه، وكان موته عيدًا في أوروبا حيث أمر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام ابتهاجًا بهذا النبأ، في حين لا زال اسمه يتردد بفخر بين المسلمين كفاتح بطل إلى يومنا هذا.. رحمه الله وغفر له.

سليمان القانوني

هو السلطان العظيم الذي بلغت الدولة العثمانية في خلافته عصرها الذهبي، سليمان بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح، نشأ محبًا للعلم وأهله، واشتهر بالجدية والحزم والوقار، ارتقى عرش السلطنة بعد وفاة أبيه عام ٩٢٦هـ وهو في عمر السادسة والعشرين، واستمر حكمه ٤٨ عامًا بلغت فيه الدولة العثمانية أوج ازدهارها وقوتها وامتد سلطانها في قارات ثلاث.

ابتُلي السلطان سليمان أول حكمه بحركات تمرد -بعضها شيعي رافضي- شغلته عن الفتوحات، فاشتغل بترتيب دولته واستقرارها، وإخماد حركات التمرد، ووضع للبلاد قانونًا محكمًا يقوم على تطبيق الشريعة الإسلامية معتمدًا في ذلك على جهود فقهاء عصره، وكان حازمًا في تنفيذه والعمل به في ولايات الدولة ودوائر القضاء، ولهذا اشتهر باسم "القانوني".



كان محبًا للفن المعماري وفنون الخط العربي، وظهر ذلك جليًّا في القلاع والحصون والمساجد التي لاتزال إلى اليوم تروي للناس قصة حضارة قامت على العلم والدين، وتميزت بالقوة والجمال.





جهاد سليمان القانوني وفتوحاته

{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل: 30]

آية كريمة كان يستهلّ بها خطاباته إلى الأباطرة والملوك، في حين كانت جيوشه تجوب أوروبا وأسيا وأفريقيا، تفتح الأمصار وتنشر الإسلام، قام بحملات ضد الدولة الصفوية وضم إليه أقطارًا منها كالعراق وتبريز وغيرها، وحارب البرتغاليين وطهر جزيرة العرب منهم، ودخلت ليبيا وتونس ودولًا أفريقية تحت حكمه، وتحركت جيوشه في أوروبا للحرب مع النصارى الذين تحالفوا لأذية المسلمين وطَرْدهم من الأندلس، وحاصر فيينا، وحرر القرم وأفلاق، وفتح جزيرة رودس التي كانت مقرًا لفرسان القدِّيس يوحنًّا، الذين كانوا يقطعون طريق الحجاج المسلمين الأتراك، ويعتدون على سفن البحرية العثمانية، فحررها بمعركة ضخمة اضطروا بعدها إلى الانتقال إلى مالطة



فتح مملكة المجر في معركة "موهاكس"

كانت مملكة المجر سابقًا تضم هنغاريا وسلوفاكيا وكرواتيا وترانسيلفانيا وأجزاء من النمسا وبولندا وصربيا.

أرسل السلطان إلى ملك المجر رسولاً يطالبه بدفع الجزية كالمعتاد، لكن الملك قتل الرسول ورفض دفع الجزية، فجهز السلطان جيشًا قاده بنفسه عام ٩٣٢هـ إلى مملكة المجر، وتحرك لقتالهم متخذًا من بلغراد التي فتحها من قبل قاعدة له، وبدأ بتحرير المدن والأقاليم التي تقع عائقًا أمام تحقيق هدفه، وتقدم بنفسه يقود جيشًا قوامه مئة ألف جندي وثلاثمئة مدفع وثمانمئة سفينة تجري في نهر الدانوب، لمواجهة الجيش المجري المشهور بقوته وعراقته وبسالة فرسانه، وكان تعداده مئتا ألف مقاتل منهم أربعون ألفًا من قوات النخبة الألمانية.

أعد سليمان القانوني خطة محكمة للقضاء على الجيش المجري، حيث وزع جيشه على ثلاث صفوف، وكَمَن مع مدافعه وقادته وأبطال الانكشارية في الصف الثالث، والتقى الجيشان في سهل موهاكس المليء بالمستنقعات المائية، وبادر المجر بالهجوم تجاه الصف الأول من جيش المسلمين، فتراجع الصفان الأماميان فجأة إلى الخلف، لتظهر المدافع في مواجهة مقاتلي المجر الذين صاروا في مرمى نيران سليمان القانوني، وبدأت المدافع تطلق قذائفها وتحصد جنود المجر حصدًا، فقتل منهم أعدادًا هائلة، وفرَّ بقية الجند هاربين، وتبعهم السلطان مع رجال الانكشارية يَقتُلون ويَأسرون، وغرق آلاف المجر في المستنقعات المائية، بل غرق أيضًا ملكهم "لايوش" ولم يتمكن أحد من إنقاذه، وهكذا انتهت مملكة المجر التي حكمت تلك البلاد لقرون في معركة دامت ساعتين فقط!! ودخل السلطان سليمان عاصمتها بودا -بودابست اليوم- وصارت تلك البلاد أحد الولايات التابعة للدولة العثمانية.

أدخلت معركة موهاكس الرعب في قلوب الأوروبيين لسنوات، حتى أن ملك فرنسا بادر لطلب التحالف مع العثمانيين عام ٩٤١هـ ، وتم توقيع معاهدة سُميت "معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية" ، لكنها وللأسف كانت بوابة التدخل الأوروبي في شؤون الدولة العثمانية في طور انهيارها.



القوات البحرية في عهد القانوني ومعركة "بروزة"

كانت قوة البحرية العثمانية تنمو وتشتد في فترة حكم سليمان القانوني، وكان أسطوله يجوب البحار بقيادة البطل الإسلامي الكبير "خير الدين بربروس" الذي تولى مهمة الهجوم على سواحل إسبانيا وإنقاذ عشرات آلاف المسلمين من قبضة الإسبان، وخاض معارك بحرية كثيرة مع مختلف جيوش أوروبا، وكان أبرزها "معركة بروزة" الشهيرة التي بقيت ذكرى مؤلمة في التاريخ الأوروبي إلى يومنا هذا.
ففي عام ٩٤٥هـ أعلن البابا الحرب على الدولة العثمانية، وأنشأ تحالفًا صليبيًا في أوروبا ودعاهم لحربٍ بحريةٍ ضد الأسطول العثماني الذي هدد سيادتهم وزلزل عروشهم، فجمع ٦٠٠ سفينة تحمل ٦٠ ألف جندي تحت قيادة أعظم قادة البحر في أوروبا "أندريا دوريا" وتوجهوا لقتال أسطول بربروس الذي يتكون من ١٢٢ سفينة مجهزة بالمدافع تحمل ٢٠ ألف جندي، وكان تفوق الدولة العثمانية على خصومها بقوة السلاح وتطوره أحد أهم عوامل نصرها.

رتب بربروس أسطوله على شكل هلال، وباغت سفن الصليبيين بالهجوم قبل أن يرتبوا صفوفهم، مما سبب لهم خسائر هائلة أدت إلى هزيمتهم في خمس ساعات فقط!! وكانت تلك نهاية سريعة لمعركة حشدوا لها كل قوتهم ووضعوا فيها كل آمالهم للقضاء على الأسطول العثماني، وبقي الأسطول العثماني سيد البحر بعد هذه المعركة لمدة طويلة.

وفاة السلطان سليمان القانوني

توفي السلطان الكبير سليمان القانوني وهو يحاصر مدينة "سيكتوار" عام ٩٧٤هـ، بعد أن حُمل إليها على عربة لشدة مرضه وكان قد بلغ من العمر ٧٤ عامًا، فقضى أيامه الأخيرة مرابطًا مجاهدًا، وبقي ثابتًا على ثغره يشرف على سير المعركة وهو يصارع آلامه أمام الأسوار لخمس شهور مليئة بمحاولات الاقتحام والمعارك الدامية، وقال جملته الشهيرة عندما رأى بشائر النصر تصل تباعًا قُبيل نهاية المعركة: (الآن طاب الموت).. وارتقت روحه إلى بارئها بعد حياة طويلة حافلة بالعمل والسعي، كان فيها نِعم الحاكم الصالح ونِعم المجاهد البطل.. رحمه الله وغفر له.

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ



الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة

هم أبطالنا الحقيقيون ..
قدواتنا ورموز أمتنا من صحابة كرام
وقادة كبار، ساروا بعزيمة حاملين لواء الحق
وبنوا للإسلام دولة وحضارة:

أبو بكر الصديق
عمر بن الخطاب
الزبير بن العوام
أم عمارة
سلمة بن الأكوع
البراء بن مالك
سعد بن أبي وقاص
خالد بن الوليد
عمرو بن العاص
عبد الله بن سعد بن أبي السرح

قتيبة بن مسلم الباهلي
طارق بن زياد
محمد بن القاسم الثقفي
محمود بن سبكتكين
يوسف بن تاشفين
ألب أرسلان
صلاح الدين الأيوبي
سيف الدين قطز
محمد الفاتح
سليمان القانوني

براءة الشامي
baraaalshamisy@gmail.com

